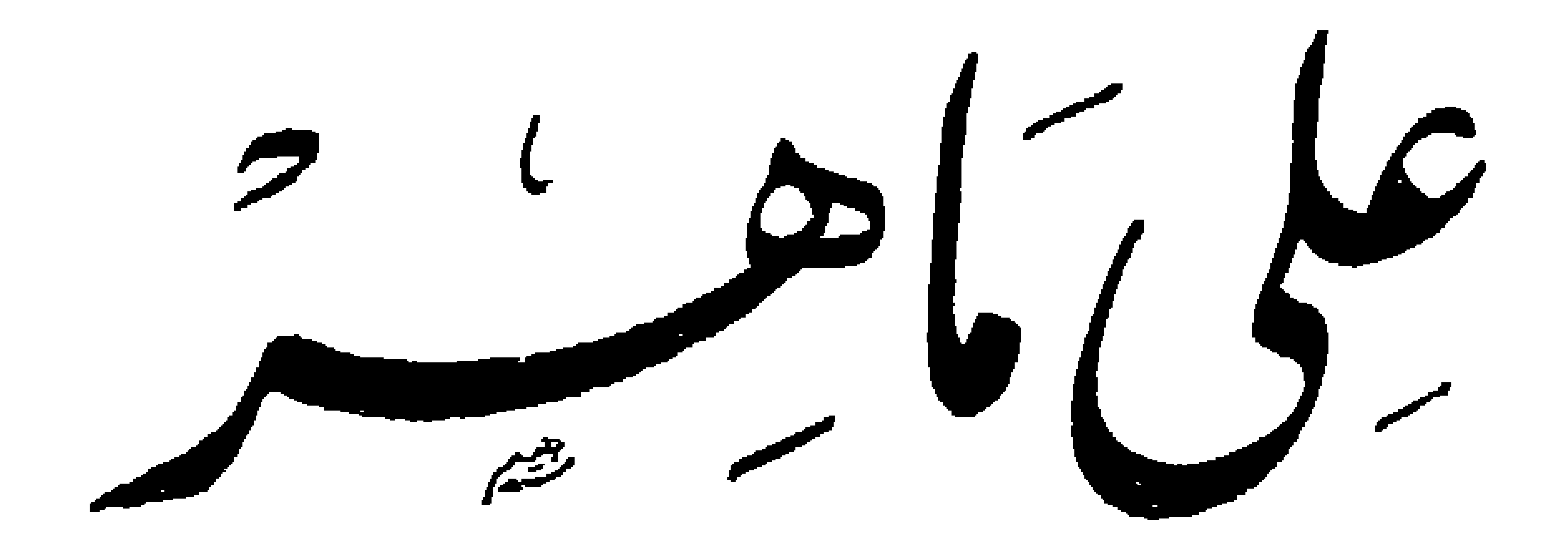
شخصية الجيل

عَلي مَاهِر

نماذج وصور فى الاجتماع
والتربية والديموقراطية
والتاريخ القومى

عبد الرحمن مصطفى رضوان
ليسانسيه فى التربية والعلوم

شخصية الجيل



نماذج وصور فى الاجتماع
والتربية والديموقراطية
والتاريخ القومى

عبد الرحمن مصطفى رضوان
ليسانسيه فى التربية والعلوم

« وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال أنك اليوم لدينا مكين أمين »

قرآن كريم

« أنتم دائما مثل أعلى فى الأخلاص والوفاء لوطنكم ومليككم »

فاروق

« الوطنى سواء أكان فى الحكم ، والسياسة أم فى الصناعة والزراعة والتجارة فى حاجة إلى قوة البنية ، إلى قوة الخلق ، إلى قوة العلم »

على ماهر

« شخصية سيشير اليها التاريخ عند مايعرض مثله العليا للأجيال »

المؤلف



مولاى :

أتوج بصورة جلالتكم المطبوعة على صفحة كل فؤاد كتبى عن الرجل الذى حظى عند مولاه بأغلى ثقة وعنـد الوطن بأجل تأييد وعند الشرق بأسمى تقدير وعند الغرب بأعظم أعجاب فاستحق خير حب وأبقى تمجيد؟

المؤلف



أكتب عنك لا لأمدحك فأنى أعلم علم اليقين أنك لا تطرب لمديح ولكنى أكتب عنك لأدرسك وأستعرض شخصيتك لأنك فى نظرى مدرسة حافلة استوعبت عناصر الفكر والثورة والأرادة . . .

وأن نبراسى فى حديثى عنك آية الله المجيدة

(وأذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا)



المؤلف

أجد فى دراسة شخصية « على ماهر » حاجة الأرواح المشتعلة لما يزكى حيويتها ويرهف معنويتها ويشفى غلتها ويطاق عناصرها . . ؟

فهـــــرس

صفحة

القسم الثالث

القسم الرابع

صفحة

القسم السادس

جدول لاصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١١	نواح	نواحى
١٣	٤	الابتداء	الاقتداء
١٩	١	لم نزل	لا نزال
٢١	٤	الوفد إلى	الوفد وعاد إلى
٢٦	٩	يسير	يسير
٢٦	١٥	الوطنية	بالوطنية
٢٩	١	يرتب	يرقب
٣١	٣	الاعياء	الادعياء
٣٢	١	داع...١٩٢٣	داعى...١٩٢٥
٣٣	٨	على ماهر	الكلام عن على ماهر
٣٨	١١	أن على ماهر الطالب كان	عن على ماهر الطالب أنه كان
٤٢	٦	إدارته	إرادته
٤٣	١١	بعض	بعض
٦٨	١١	همة	وهمة
٧٨	١	جبهة مفاوضات	جبهة : مفاوضات
١١٨	٥	فتنة	فنية
١٢٣	١	مشروعات	مشروعات
١٩٠	٥	الغيت	الغيث
١٩٧	٨	فكرة لى مسألة	فكرة مسألة
٢١٠	٧	ربياسة	رياسة
٢١٠	٨	ملواجب	الواجب
٢١٢	٣	آتر	أثر
٢٥١	٧	عليه	عليها
٢٥٣	٦	أسجل	أن أسجل
٢٥٦	٣	والمنفعة	والتفقة
٢٦٨	الأخير	الاصلاح	الا الاصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترانى قد أضفت إلى اسم « على ماهر » وصف أو اسم « شخصية الجيل » وقد يدعو هذا إلى شىء من التفكير أو شىء من العجب أو إلى الاثنين معاً — فقد يفهم البعض أن الكاتب يقصد بالكتاب درس النواحى الاجتماعية والسياسية والفنية وغيرها من الأوضاع التى يقوم عليها كيان الجيل — وهذا ما يجب أن يفهم من العنوان — ولكن يجب أن يفهم أيضاً انى قد أعدل فى بعض النواحى عن طريق يسلكها كثيرون غيرى فى مثل هذه الدراسات الى طريق دراسة شخصية يجمع الجيل وقادة الجيل على خطير شأنها — ذلك لأن الأساس الذى بنيت عليه هذه الفصول فى هذا الكتاب هو أن الفرد أثر من آثار الجماعة أو أنه ظاهرة اجتماعية كما أن

المجتمع يخضع فى شكله لتـأثير الفرد ويزداد هذا التأثير وضوحاً كلما نضجت ونمت شخصية الفرد .

فمن الحقائق الاجتماعية أن تربية الفرد عملية تصوغه فى قالب الجماعة ومن ناحية أخرى أن تربية الجماعة شىء من عمل الأفراد .

وبعبارة أخرى أستطيع أن أقول أنى اتخذت محور الكتاب دراسة شخصية « على ماهر » وسرد فصولها باعتبار « الرجل » أقوى القادة فى توجيه الجيل الذى سيكون بدوره نواة الأجيال الناشئة من الأبناء والأحفاد . . والقادة أيضا .

أو بعبارة علمية أستطيع أن أقول أن دراسة الجيل يجب أن تستقرأ غناصرها من دراسة أبرز الشخصيات التى يسرى تأثيرها فى مختلف النواحى ويجرى تفاعلها مع بيئتها فى شتى الأشكال .

— ومن الخطأ أن يظن أحد أنى بذلك أغلو فى تقدير الفرد أو أقصر فى تقدير الجماعة —

. . . هذا ما دعانى إلى اضافة اسم « شخصية الجيل » لاسم « الرجل » الذى تتبلور حول كيانه وكيان مريديه والمقتفين لآثاره «شخصية الجيل» .

المؤلف

ع . م . رضوان

إهـــداء

كنت حائرا فى شأن من أهديه كتيبي هذا :

أأهديه لوالدى ولا يجوز لى أن أوثر غيرهما بهديتى التى تبوح بالوفاء والاكبار أم أهديه لمن جعلته محور الكتاب واتخذت من حياته موضوع الحديث ومن يعز على ألا يكون هو أول من يهدى بحديث عنه فيه تسجيل لمثـل رأيتها بعينى وسمعتها بأذنى ولمستها بحواسى جميعا وتتبعتها بفؤادى ثم حاولت تصويرها بقلمى ولو كان عاجزا . . . ولو كان الحديث قاصرا . . .

أم أهديه لمن يحلو لى وله أن يستظل بروحى و يسعد بحديثى . . .

قد أخرج عما جرى عليه المؤلفون فأتقدم بكتيبى لهؤلاء جميعا : فأهديه لوالدى الذى كثيرا ماقص على بعض ماشجعنى

على اخراج هذا الكتيب وأهديه لوالدتى التى غرست فى روحى محبة أقاربها بحديثها لى عنهم : عن نشأتهم وبارز صفاتهم . الأمر الذى حفزنى لأن أختار المثل المنشود «واحدا» منهم وجدت أن شخصيته شديدة الأشعاع على روحى قوية التأثير فى كيانى فشغفنى حبا أن أتحدث عنها .

— وهل يكون غريبا أن أتحدث عن هذا « الواحد » لأستعرض بعض جوانب حياته — وكتاب الله المجيد يقول (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) —

ثم أتقدم بهذا الحديث أهـداء لشخصه المجيد الذى سيتحدث عنه الجدود والآباء وأحفادهم كلما لذ لهم حديث البطولة والأمجاد . . .

اهديه للرجل الذى سيشير إليه التاريخ عند ما يعرض للأجيال « صورة المثـــل الأعلى فى الاخلاص والوفاء للوطن !! »

. . . وأهدى هذه الصفحات إلى الشباب ليضعوا أمام أعينهم «صفحة رفيعة القدر» من التفانى فى أداء الواجب .

وأهديها للشيوخ ليتتبعوا بأفئدتهم كيف يتحقق «صدق العزيمة وكمال الاقتدار» وليوقنوا أنه لا شيخوخة فى الجهاد والعمل .

وأهديه للأمهات ليقصصن على فلذات الأكباد سيرة الرجولة العتيدة والبطولة المجيدة .

أهديها لمصر العظيمة التى أنجبت المصرى العظيم .

وأهديها للشرق العربى الذى تقدم الرجل للذود عن حياضه بما بذل من أجله أكرم وأخلد الجهود فى سبيل الحرية والحق . .

أهدى هذه الصفحات للحياة القوية الحافلة والأجيال الفتية المقبلة .

عبد الرحمن مصطفى رضوان

أستاذ علوم بمدرسة الأمير فاروق الثانوية الأميرية

الموضوع

أردت بهذا الكتيب تسجيل صورة (مصغرة) لحياة بطل مصرى جدير بأن يدرس وتستعرض ألوان شخصيته الرائعة وأنا أعلم أنه ليس من الهين التحدث عنها ولكنى ذكرت قول الامام على « إذا هبت أمرا فقع فيه فان شدة توقيه أعظم مما تخاف منه » .

فأقدمت وكلى ثقة بالله وبنفسى وبمن جازفت وتعرضت للحديث عنه أن يكون هذا العمل المتواضع مقبولا مرضيا عنه رغم ما يكون فيه من نقص أو قصور عن الكمال .

وحسبى أن يعلم القارىء الكريم أن عملى على إصدار هذا الكتاب جاء قبيل أن أدفع به إلى المطبعة بأيام قلائل معدودات مع اختمار الفكرة فى نفسى من زمن غير قريب وأنى لما أردت مغالبة ترددى فى تنفيذ الفكرة استعنت

بالسرعة والإيجاز حتى لا يكون فى البطء فرصة للأحجام ولا ينجم عن الأسهاب شىء من التقاعس أو تهيب المسئولية واستبعاد المهمة .

وليست غايتى ترجمة حياة (الرجل) بمعنى الكلمة أنما أرمى إلى استعراض عام سريع لأروع المشاهد وأبدع الفصول على مسرح الواقع الذى تفوقت حقائقه على متع الخيال .. فى حدود شخصية امتدت آثارها عند آفاق يضعف عندها التحديد !

* * *

هذا وقد قسمت الكتيب ستة أقسام جعلت الأول عن الأدوار الأولى لحياة ، الرجل والثانى عن أعماله وهو وزير فى مختلف الوزارات ، والثالث عن أعماله منذ رئاسته للديوان الملكى (للمرة الأولى) حتى استقالة وزارته من الحكم ، والقسم الرابع لمشروعات وزارته والقسم الخامس للمدة منذ تركه الحكم حتى تعيينه رئيسا للديوان للمرة الثانية .

والقسم السادس تلخيص وتحليل لشخصيته

وقد ركزت اهتمامي بالآونة التي تجلت فيها عبقرية الرجل وفنون مواهبه وآيات نبوغه .

. . . ولا يفوتني أن أذكر أن أداء هذه الرسالة الموجزة قد تعاونت على توجيهي له جملة عوامل : منها عامل مهني كمرب يقدم المثل البارز والقدوة الرائعة لبني الوطن — ومنها عامل شخصي كفرد يمجد عظماء قومه وأهله — ومنها أنجاز لوعد قيدني به كثيرون ممن يهمهم الروح المعنوية ويعجبون بالرجل .

. . . .

. . . أرجو المعذرة إذا إنا قصرت في تصوير ناحية من نواح هذه الحياة المتسعة أو فاتني شيء من أدوارها أو هضمتها حقها في بعض المواضع حيث تعلو الحقيقة عن التصوير والتقدير لشخصية من الطراز الأول

عبد الرحمن مصطفى رضوان

بطـــل . . .

واجبنا نحو الأبطال — لماذا كتبت عن البطل !

نحب الأبطال ويجب أن نحببهم ونملأ حياتنا بحبهم
إنما لا يجوز أن تطغى بطولتهم على كرامة الأنسان فنعبدهم
نحب الأبطال ونحب الحديث عنهم
إنما لا يليق بالانسان أن يتملق الأنسان
نحب الأبطال ونجل أشخاصهم
إنما يجب ألا نبنى الهياكل لنذل لهم فيها ونسجد لهم

. . . ينبغى علينا أن نحب البطل ما استطعنا لنؤدى له بعض الوفاء إنما لا ينبغى علينا أن نفنى أشخاصنا فى فرد يفرض علينا

. . . الأبطال قادة الركب الأنسانى فى سبيل الأنسانية

المتجهة نحو العلا والمجد .. ولكنهم ليسوا أربابا من دون الله

• • •

هذا ما يجب أن يصح فى الأذهان عند ذكر الأبطال أو اتصالنا بهم أو الاقتداء بخططهم فى الحياة .

وإذا كان واجبنا نحن الشباب أن نتمثل شخص البطل فى عزماته وقوة دفعه ونمجده ما استطعنا إلى ذلك من سبيل فمن الاجرام فى حق أنفسنا وحق الانسانية بل وفى حقه هو كانسان قبل كل شىء أن نقدسه من دون الله

• • •

فأنا إذ أتحدث عن « الرجل » الذى تغرينى بالحديث بطولته إنما أتحدث عنه لأن الحديث عنه شهى يملأ النفس حرارة وحياة ! والحديث عنه يرهف الاحساس بجلائل ما فى الحياة ويحيل ذات الفرد نشاطا جما يدفع الهم جديدا

والفكر جديدا والأمل جديدا .

أتحدث عنه وأجازف لا متهيبا ولا مترددا — وقد كنت أول الأمر متهيبا مترددا . . . — لأن الحديث عنه يبنى للأرواح الثائرة ما تشتاق اليه ! !

كدت أحجم ... لولا الحب والشوق .

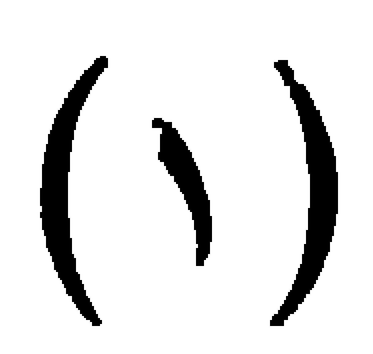
كدت أحجم . . لولا رسالة شعرت برغبة قوية فى أن أبسطها لمن يشغفهم حب الأبطال ومن يتلمسون للبطولة القوية مثلا واقعيا فى رجل من الرجال يسمو بحقيقته عن الخيال ..!

وهل يعرف الشوق إلا من يكابده !

وإنى إذ أتحدث عن « الرجل » فانى أتلمس الحقائق كما هى وكما يعلمها العارفون .. فلا مبالغة ولا مغالطة .

فأذا كان الحديث عنه حلو شهى فالحقيقة أشهى وأحلى واعلانها أوجب وأدعى وأجل وأحق عند من يعتد بالأمانة .

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الانسان . . .)



من كثب . . .

من الحقائق الثابتة فى علم النفس أن الفرد يكون مدفوعا فى أدوار حياته بميل فطرى إلى اختيار قدوة ممن حواليه من أقرب الناس اليه و يبدوهذا الميل واضحا قو يا فى دورالمراهقة حيث تتفتح نفس الفتى وتتوق إلى اختيار أشخاص آخرين يرى أنهم أكثر انطباعا بالصفات التى يغرم بها .

و يظل هذا الميل يتطور من درجة إلى أخرى مع نمو الفتى وتقدم سنه — وتظل اتجاهاته وأعماله محكومة بصفات من يحب وسجاياهم — وأخيرا يبلغ الفرد مرتبة يحس فيها وكأن مثله العليا متجسمة فى شخصيات النابهين والعاملين ثم لا يلبث أن يتركز اعجابه وحبه وأمله فى اتجاه شخصية يرى أنها أغنى عنصراً وأعزز قوى فيتشبث بها و يستوحيها وكلما ازداد نضجا لايحجم أن يجمع بين حبه ونقده لشخص واحد

. . . وهذا هو ما لفتنى إلى الشخصية التى أتحدث عنها بالنسبة لأنها قوة لها سحرها فى تكييف كيانى ورسم السبيل أمامى بما كنت أرمى إليه من كثب وتعينه ظروف خاصة لم أهملها منذ سن المراهقة .

ولا عجب فى ذلك أذا تعددت أمام الفرد المثُل فأخذ يمعن و يدقق و يعمل فكره و يهتدى بمنطق العقل ليصيب فى اختيار مَثَله و يطمئن اليه راضيا مسرورا وكلما ازداد اقتناعا به ازداد حماسا له وأخيرا قد يخلو إلى نفسه فتحدثه أن يتحدث عن مثله الأعلى .

. . . وهذا ما حدث لى .

. . . .

و إذا كان الكتاب ومدونوالتراجم قد ساروا على طريقة ترجمة حياة الأبطال الراحلين فانى لا أرى ما يمنعنى من أن أتقدم للحديث عن بطلنا وهو ما زال بحمد الله متمتعا

بالعافية — أسأل الله أن يباركه ويبقيه لأمثال عمره فنعود للحديث أضعافا باذن الله .

. . . .

وأنى وأن كنت أعطى لشخصى الضعيف حق الكتابة عن الشخصية التى امتزجت به واتخذها مثله فليس لأنى أجدر الناس بهذا العمل . . . ولكنى قد أكون أولاهم بهذا الواجب .

ثائر

كنا لانزال صغارا ناشئين والثورة المصرية فى نشأتها سنة ١٩١٩ . . والحركة تستعر والأمة تحد وتحتـد . . . لما سمعنا صوتا يجلجل دويه فى جنبات الحكومة فتهتز البلاد من أقصاها إلى أقصاها بحادث فرد فى التاريخ ذلك هو اضراب الموظفين .

« هل تعلم من هو الذى نادى بالاضراب ؟ » هكذا سألنى أبى وكنت لا أزال فى نحو سن العاشرة .

. . . هو « على بك ماهر » . . .

. . . وسرعان ما سرت كلمة الاحتجاج مؤيدة بالعمل الايجابى فى روح الثورة تنفخ فيها الحياة وتدفعها للغضب .

أى رجل هذا ؟ بل أى خطر ؟

على المؤرخ المدقق أن يسجل أنه لو صح أن نقول عن

الثورة بأنها شطران لكانت فعلة « على ماهر » هى شطرها الأول ! !

. . . لازلنا بعد مضى عشرين عاما نسمع الشيوخ والشباب والنساء يتحدثون عن هذا الحادث عند ما يذكر أمامهم اسم الرجل .

وأعتقد أنه سيتحدث بذلك الجيل بعد الجيل عند قراءة هذا والاعجاب بالجهاد العملى للرجال العاملين

. . .

فُصل الرجل من وظيفته (يقول أبى أنه كان يشغل منصب مدير ادارة المجالس الحسبية بوزارة الحقانية حينئذ). تقدم الصفوف .. واختير لعضوية الوفد وسافر للمفاوضات

صريح

قد يقف المفكر الذى يحلل حوادث التاريخ و يتلمس لها الأسس والأسباب أو يطبق عليها ـ كما يقول المناطقة ـ قانون التعليل قد يقف لحظة و يسائل نفسه لماذا اعتزل « الرجل » وانشق عن الوفد إلى الوطن مع بعض زملائه وقد كان عماد المفاوضات

الرجل الذى قام بأول عمل ايجابى لبناء الثورة !

الرجل الذى ضحى بوظيفته وغذى الثورة أنجع غذاء ضاعف من خطرها ! !

الرجل الذى ذاق الاعتقال ولم يعلن عن نفسه كغيره

الرجل الذى تقدم الصفوف فى أحرج المواقف ! !

هل يعقل انسان أن رجلا هذه روحه (ينشق) ونفر معه

إلا لدافع قوى لم يرضوا معه أن ... ينزلقوا فى سبيل قضية بلادهم ؟

لم تقتنع ضمائرهم بأن يطغى رأى على آرائهم ولو كان رأى زعيمهم

قيل أنهم انشقوا ولكن يجب أن يقال أنهم لم يبالوا أن يكونوا قلة على حق .

تعيرنا انا قليل عديدنا
فقلت لها أن الكرام قليل

خلق صريح !
أباء واعتداد بالنفس ! !
عنصر نادر من الرجال !

والرجل الذى يعرف كيف يثور على من يسىء إلى الوحدة القومية يعرف قبل ذلك حقيقة الأخاء الوطنى والكرامة الوطنية . وأن الزعيم لا يحق له أن يطغى برأيه على من رفعوه وقدموه على أنفسهم

الحر يعرف كيف يثور على من تحدثه نفسه أن يستأثر بالرأى ولو كان عظيما .

.. لأنه يؤمن بأن الفرد للجماعة وليست الجماعة للفرد !!

جماعة

يعرف كل من يدرس بسيكولوجية الجماعات أنه كثيراً ما تنتشر فى الجماعات أفكار خاطئـــة بسبب انحطاط القوة العاقلة فيها وخضوع الجماعات لحكم اللاشعور وتأثير بعض الأفراد ممن تتهيأ لهم ظروف يستطيعون فيها أن يبثوا نفوذهم و يجتذبوا عقل الجمهور الذى تضعف فيه ملكة النقد وخصوصاً إذا كان الجمهور فى بدء التكون الصحيح ولم يأخذ بقسط مناسب من التربية الاجتماعية مما يتيح للراغبين فى الشهرة أن يستلبوا إرادة الجماعة فيتمكنوا من تخدير أعصابهـــا وأغرائها ما شاءوا — وفى هذه الفترة من حياة الأمم كثيرا ما تعكس الحقائق وتنتشر عدوى تصديق أولئك الذين (يروجون) الدعوة لأشخاصهم و يهتبلون الفرصة اهتبالا .

وهنا تـكون حالة الجمهور من حيث أنه فى بدء دور

النضوج أكبر داع لخضوعه وحبه لهذا الخضوع أمام السلطة القويةواليدالمحركة التى تتلاعب بتخيله وتغريهبالخلاب البراق.

وما من أمة إلا وتمر فى حياتها بهذه المرتبة من مراتب الترقى .

و بناء على هذا نفهم لماذا ساد نفوذ حزب من الأحزاب فى مصر عهدا طويلا حيث كانت شخصية ذات الأمة فى دور تكونها أو على الأقل كانت فيه شخصيات ذوات الأفراد فانية فى بعض أصحاب النفوذ بدافع حب عبادة الأقوياء والركون إلى أوهام الطفولة التى كانت تنتابها حينذاك قبل أن تصقلها التجارب وترشدها التربية السياسية التى تصلح ميولها القومية وتنقلها من دور الخيال الى دور الحقائق لما توجهها بسبيل ايقاظ قوة التعقل وملكة الاقتناع .

. . .

لا يجهد قريحته كثيرا من يصل بين المقدمات والنتائج

إذا أراد أن يعرف لماذا فضل «الرجل» فى ذلك الوقت أن يستقل فى كفاحه و يتخذ سبيلا جديدا .

واسلك منهجا يسلك الناس غيره
لكل امرىء فيما يحاول منهج

فهل من حرج على عقلية ناضجة ان لم تخدع ! ؟
أو من حرج على روح الثائر ان لم تخضع ؟ ! !

والرجل الذى يعلم حق العلم كيف تعمل المؤثرات والظروف على تكييف نفسية الجماهير قبل أن تقوم شخصية الأمة بارزة بين الأمم قدير على أن يسبر بنظره البعيد غور الأمور والأحوال وكشف حقائق الذين يتجرون بالشهرة على حساب الآخرين وعلى حساب الوطنية أيضا . .

فليس من طبيعة الأرواح الثائرة أن تبرر لذى الأثرة أنانيته أو تناصر الدعىّ على غايته .

والرجل الذى يمقت الدعاية والتضليل جدير به أن يفضح من يتجرون بالوطنية من المضللين والكاذبين على أوطانهم .

نظر . . .

ثار الرجل كى يوقظ « العاطفة » الوطنيـة و يرهف « الوجدان » العام بحب الحرية !

ثم ثار الرجل لا يقاظ « فـكر » الأمة ولفت « العقول » إلى كمال الحق ! !

فهو أبدا ثائر ولـكن فى هدوء وجلال .

وهو أبدا مشتعل ولـكن فى سكون ووقار .

ثار ليعطى و يبنى لا ليهدم و يأخذ .

ثار وآمن بنجاح ثورته فتحقق ما آمن به .

ثم ثار . . .

وقد ينسى كثيرون أنهم ظلموا « الرجل » لما أساءوا فهم ثورته على عصبة القوم من تجار (الوطنية) .

وهم كانوا معذورون فى ذلك !

. . ولـكن هل لمن أخطئوا بالأمس أن يجمعوا بين ذكرى يوم استقلال الرجل فى كفاحه وحقيقة ما آل إليه أمر من انشق عليهم ؟ !

مَن مِن أنصار الحقيقة لا يقلب فكره فيما مر من سنوات منذ ذاك العهد ليرى صدق حدس الرجل و بعد نظره الذى دله على حقيقة ظهرت بعد نيف وخمس عشرة سنة بما حل بعضه (بالمحاربين القدماء) ان صح هذا التعبير عن قوم خدعوا الأمة وحاربوا « الرجل » .

يالرجل من ثائر يبنى ثورته على أسس المنطق والعقيدة ! !
ياله من شعلة من ذكاء خارق يستشف ماوراء الحوادث و ياله من جبار يؤمن بالنصر ولا يمل من الثقة بهذا الايمان العجيب مهما طال الزمن وتتابعت المحن .

خطـــــة

من كان يرقب الحياة العامة لرجلنا فى تلك الفترة يذكر أن الرجل اتخذ سبيله لخدمة بلاده بحيث يحقق خطة منتجة برنامجها « العمل » أو بعبارة أخرى أنه آثر سياسة إيجابية ومنهجا بنائيا ، وهذه لعمرى خير الوسائل يلجأ إليها كل من يرى الأدواء الاجتماعية من حزبية وطائفية فاشــية فى أمته ينثر بذورها الأدعياء من طلاب الشهرة والمجاهدين لزعامتهم والمخادعين لغرض الزعامة وحدها والأمة لاتزال فى دور النضوج ... فمن الثابت أنه لا ينفع « العقل » فى الجماعات وهى فى دور الطفوله والخيال أو بعبارة أخرى أن « المنطق » لا يجدى مع الشعوب التى فى بدء تكونها الاجتماعى

وإذاً فلا مندوحة للرجل الذى لا تتفق طبيعته والمهاترة أو التهريج والخداع — لا مندوحة لمثله من التزام ما أسلفت

هنا من خطة وبرنامج .

و إذاً فجدير بالنقاد الذين لم يصيبوا فى حكمهم على مبدأ الرجل حينذاك أن يقروا الآن بما كان فوق مستوى قدرتهم على التقدير والتأويل الصحيحين .

وليعترف من كان يكابر بالأمس بأن خطـة البناء والأصلاح أسلم سبيل وألزم حاجة للأمة تكفيها مؤنة المناوشات الحزبية والاتهامات المزرية التى تسود الجماعات المفككة والطوائف المتقـاتلة من أبناء الأمة — بذلك يستطيعون أن يفهموا مادق على نفسياتهم مذ كانوا مدفوعين بمن فرضوا زعامة أشخاصهم على الناس ! !

بذلك ينصفون الحقيقة و يستقيم حكمهم على الرجل الذى دعته المناصب فلبى دعوتها ليقبـل العثرة و يعمل للأصلاح والبناء .

هذه كلمة صريحة حدا بنا اليها تنبيه المؤرخ الذى قد تغيب عنه الأسباب والدوافع حينما تغشى وجوه الحقائق والوقائع غشاء من مغالطات الأدعياء أو مسح الأيام .

داعى

هو داعى الوطن مرة أخرى . . . سنة ١٩٢٥

فلما رأى بطلنا أن الوطنية المصرية أصبحت كأنها سلعة عرضها قوم من المصريين للتجارة والشهرة وأن الدفاع عن الحرية أصبح مضغـــة فى أفواه المغالطين وأن المطالبة بالاستقلال أصبحت حرفة يقوم بها أفراد حسبوا الوطنية والدفاع عن الحرية والمطالبة بالاستقلال حكرا لهم دون سواهم ووقفا عليهم لاحق لغيرهم فيــه — لم يجد مانعا أن «ينضم» إلى حزب الاتحاد ليكون وحدة القومية المبعثرة .

تجلت شخصية الرجل فى حزب الاتحاد بما أعاد الى الأذهان صورة الثائر الأول وهى صورته .

ولا ينكر منصف أن قيام هذا الحزب وقتئذ كان ضرورة يستدعيها التوازن اللازم للأحزاب ويظهر ذلك بوضوح لما

لما يذكر ما أصاب القوم من هلع وجزع وما عملوا لحساب الحزب من تقدير — استغفر الله . فقد عملوا حساب الرجل ، وقدروا مدى ثورته المعنوية !

. . .

. . . . ندع جانبا الحديث عن (على ماهر) الطالب و (على ماهر) المحامى و (على ماهر) القاضى النابه الجرىء الذى لم يتقيد بحرفية القوانين وعلى ماهر مدير ادارة المجالس الحسبية و القوة الفعالة فى أقامة الثورة الوطنية أن لم يكن الثائر الأول — ندع على ماهر أستاذ القانون الدولى (بمدرسة الحقوق) وناظرها وعلى ماهر وكيل المعارف .

. . .

ندع جانبا تلك الأدوار التى مرت بها حياة الرجل قبل الثورة وبعد الثورة والتى طبع مناصبها بطابع خاص لا أحدثك الآن عن مميزاته . أنما أسوق لك الحديث عنها ضمن الأدوار

التالية التى لمسناها لمسا فى حياته العامة والتى قامت لحسن الحظ فى عهود سمح لنـا العمر بأمكان دراستها ونقدها واستعراض أساليبها واستكناه أصولها ودوافعها .

ندع جانبا هذه الصفحات البيض التى تلذ قراءتها . .

ندع أحاديث العارفين عن الأسـتاذ العظيم اللبق والقاضى العظيم العادل سريع الخاطر الذى يطبق النصوص والشرائع فى روحها – والقانونى الضليع الغزير ! !

ولنستعرض خطة الرجل وبرنامجه فى سياسته الأيجابية للأصلاح الداخلى والتدعـيم – تلك السياسة التى رآها أجدى وأنفع من سياسة الجـدل والقول وقام فى سبيلها بوضع لبنات البناء فى كياننا التـكوينى والاجتماعى والاقتصادى والتشريعى فهذه خير وأبقى من المشاحنات الحزبية أو مجادلاتها السقيمة ولو كانت بيزنطية ...



قوة

اشترك « الرجل » فى وزارات ذلك العهد وتألب فى دست أهم الوزارات فمن وزير للمعارف إلى وزير للحقانية (وزارة العدل الآن) الى وزير للمالية وفى جميع هذه المناصب كان وزيرنا مثال الفنى الذى درس وألم بالأصول فأتقن درسه وفنه — وفى جميع هذه المناصب لا يستطيع القلم ولا تستطيع الذاكرة حصر مجموع آثار رجلنا ومشروعاته الجليلة الخطيرة الممتازة فى كل وزارة تولاها وفى جميع هذه المناصب كان وزيراً لمصر لا لحزب من الأحزاب !!

وأحسب أنه لا يكفى أن أثبت هنا أننا لازلنا نستمتع بآثاره مما يدل أبلغ دليل على أن الرجل لم يكن وزيراً كما اعتاد المصريون أن يروا الوزراء ويعلموا عن الوزراء بل كان وزيراً كما أحب المصريون أن يكون الوزراء وكما أدهش المصريين وغير المصريين ! :

بل وقد لا يكفى وقد يكون من التواضع أن أعلن أن الأمة والأجيال المقبلة ستظل تستمتع بهذه الجهود والآثار

ولو جاء الرجل وزيراً ليحكم ما كان لأعماله من أثر وما كان لهذه الصفات من أثر وما كان هو الرجل الذى آثر طريقة العمل على طريقة السفسطائيين ان صح هذا التعبير عن قوم احترفوا السياسة والوطنية والخداع والكلام .

واذاً لم يكن الرجل وزيراً ليحكم بل كان وزيراً ليعمل !

وبعبارة أخرى لم يكن عاملا على أن يكون وزيراً إنما كان وزيراً ليكون عاملا ! ولذلك أصلح فأجاد الأصلاح وبنى فأتقن البناء وابتكر فأبدع الابتكار .

ولو أوتيتُ قوة استطلاع ما فى نفسه العظيمة لقرأت فيها أسلوبه :

عمل . . . بناء . . . قوة . .

ولنلم الآن بعض الشيء بأعمال على باشا ماهر الوزير

— الوزير الذى اشترك فى الحكم لينفع وطنه و ينهج سياسة إيجابية منتجة بعيداً عن هرج السادة المتزعمين حينئذ .

و إذا كنت قد تقدمت لحمل أمانة الكتابة عنه فلنستضىء بالحق فى حدود الواقع الملموس بعيداً عن وهج الخيال .

إنما إذا كانت الصورة غير محددة الأجزاء والتفاصيل فى جميع أوضاعها فلا أقل من أنها تدل على صاحبها وترشد الأجيال إلى شخصيته وتذكر الساهين بحقيقته — وتشفى القلب من شوقه وغلته واو إلى حين و يكفينى هنا أنها طبيعية لا تلوين بها ولا (رتوش) .

. . .

وأحب قبل أن أنتقل الى أول أدواره كوزير أن يعلم القارىء الكريم أن على ماهر الطالب كان الرياضى والأديب والباحث وغير ذلك من صفات الطالب النابه الذى تميزه صفاته بين أقرانه ولداته وتبرز شخصيته بين إخوانه ورفقائه

بما يجعله سباقا متفوقا أو على الأقل نشطاً مثابراً صالحا للنبوغ والفوز والارتقاء مستعداً للمضى فى سبيل أولى العزم ممن كان يسمع عنهم ويقتبس بعض صفاتهم التى امتزجت بطابعه الخاص فجعلت منه اليوم مدرسة قائمة بذاتها .

بيـــــداجوجى

ثورة أخرى . .

« أحب مسائل التعليم والتربية
وأفهم أن فى العناية بها اكبر خدمة
للبلاد ولا يخطىء من يقول أن وزارة
المعارف تبقى أهم وزارة إلى خمسين
سنة أى الى أن نعد الجيل المقبل وقد
كملت فيه الرجولة » على ماهر

من الأوصاف أو الحقائق التى كانت معلومة لدى المصريين أن الوزير القانونى لا يعلم عن الأمور الفنية فى وزارته شيئا (و بطبيعة الحال فيما عدا وزارة الحقانية «العدل») بله التفاصيل والدقائق !...

ولـكن ما كاد رجلنا يتولى أمر وزارة المعارف حتى رأى الناس ما لم يروا فيما مضى وأحسوا بمـا لم يكن لهم عهد به من قبل سنة ١٩٢٥ .

فتح جديد !

ولم لا يتم فتح ووزير المعارف حينئذ هو على ماهر الطالب النابه وعلى ماهر المحامى وعلى ماهر القاضى وعلى ماهر صاحب المواقف الرائعة فى مناصب القضاء قبل أن يكون على ماهر باشا صاحب المعالى وهو على ماهر الأستاذ القدير الحصيف (بمدرسة) الحقوق وناظرها ... وهو هو على ماهر الثائر الأول.

إذا فليكن فتح جديد !

ولتكن ثورة جديدة ! !

هذا ما كان ينبغى علينا أن نتوقعه منه وهو وزير لأول مرة.

وهذا ما كان يجب أن يكون منه وهو وزير — وهو الذى يعرف كيف يجيد الثورة ويقيمها على أسس من العقل والتدبير ! !

وعندى أن الذى يعرف كيف يثور بحكمة وحزم يعرف

كيف يبنى بقوة وحزم !

شعر الناس لأول مرة أن وزير المعارف يعمل بنفسه : يمحص الآراء — يبحث — يدرس — ويوازن بين الخطط — يتناول الدقائق من الأعمال الفنية بوزارته — ثم يريد أن يعالج ويصلح ويبنى ويبتكر ! !

وأخيرا ينفذ إدراته فى الاصلاح والبناء والابتكار وهو ينفذ أرادته بحزم ونشاط ودقة فلا هو طافر فى سرعته ولا هو مستبد فى جرأته .

وهكذا شعر الناس لأول مرة أن وزير المعارف إمام من أئمة التربية وقطب من أقطاب البيداجوجيه والتعليم .

شعر المصريون وغير المصريين بثورة جديدة عنيفة يشن غارتها «الرجل» على النظم العتيقة البالية التى درجت عليها مناهج التعليم وخططه .

شعرنا وكنا لانزال طلبة بروح جديد بدأ حينئذ يدب في كياننا وفى الجو المدرسى وفى المناهج الدراسية وفى نظم التعليم . . . .

شعرنا وكنا لا نزال نتلقى العلم بنفحة زكية أخذت تسرى فى أرواحنا وتكيف ذواتنا تكييفا لم نعهده من قبل !

شعر الطالب المصرى حينذاك بثورة مجيدة تنشىء المدرسة الجديدة !

أقول أنه فتح جديد !

فمن ينسى ذلك التغيير الكلى والتنقيح المتقن فى البرامج والمواد ؟

ولا مانع من أن نسوق لك بعض الأمثلة التى قد لا يعرف مدى نتائجها إلا الخبير بشئون التعليم وفن التربية :—

أدخلت لأول مرة مادة علم الحياة (التاريخ الطبيعى) فى التعليم الثانوى ومن له صلة بمسائل التعليم يفهم خطورة

هذه المادة وعظم شأنها فى التعليم الحديث .

كذا أضيفت لأول مرة مادتا المنطق وعلم النفس إلى الدراسة الأدبية – وابتكرت حينئذ طرق طريفة ونظم غاية فى الأبداع بخصوص تدريس اللغات الاجبارى منها والاختيارى مما جعلها محببة إلى التلميذ (حينئذ !) .

هذه بعض الأمثلة على ما كان بشأن المناهج وأما فيما يتعلق بالخطة والنظم فانى أسوق اليك بعضا آخر مما تسعه الذاكرة .

أما عن نظم الامتحانات وما أصابها من تعديل جرىء فلئن كان هذا حينذاك سابقاً لأوانه بالنسبة للطالب المصرى فما أولانا به الآن – وأعتقد أنى لو ناديت بهذا التعديل الآن على هذه الصفحات فأنى أعلن عن حل مشكلة حيرت الكثيرين من الأساتذة ورجال المعارف وهى مشكلة الامتحانات وأعمال السنة المدرسية .

وأما بخصوص مدة الدراسة الثانوية فقد جعلت بحيث تناسب التكوين اللازم للطالب فى هذا الدور الذى يعتبر أهم أدوار حياته فجعلت مدة الدراسة خمس سنوات — وكذلك أراد « الرجل » جعل مدة الدراسة الابتدائية خمس سنوات .

ولنذكر أن هذا الرأى الخطير فيما يتعلق بأطالة سنى الدراسة من أنضج الآراء فى التربية الحديثة وحتى أن النازى فى ألمانيا جعلها فى المدرسة الثانوية ثمان سنوات .

ألا تشهد كل هذه المعالم بفتح جديد ؟ !

فما بالك بما أدخل حينئذ من وسائل الحياة المدرسية فى أحدث أشكالها حتى لا أبالغ مطلقا اذا قلت أن هذه الوسائل جعلت المدرسة المصرية حينئذ لاتقل عن المدارس فى البلدان والدول الأخرى إن لم تبذ بعضها : —

فمن توسيع فى شئون الرياضة البدنية والكشف والألعاب إلى طريقة التعليم (السينمائى) التى كانت بعض البلدان

الأوروبية لم تدخلها بعد فى مدارسها ! إلى جعل الرحلات المدرسية حقيقة تقيم ركنا فى كيان المدرسة الحديثة وقد كانت من قبل من الأسماء عديمة المسميات ! !

— فبمبلغ بسيط زهيد يدفعه الطالب يستطيع أن يشاهد ما يجب أن يعرفه عن بلاده وتاريخها وآثارها ومنشآتها ...

هذه أمثلة لبعض ما أتت به ابتكارات « الرجل » فى وزارة المعارف خاصة بالتربية والتعليم والمتعلمين .

ولا أنسى ولا أرى مانعا من التنويه بآثار « الرجل » المصلح بالنسبة لمعاهد المعلمين ويكفى أن أذكر فى هذا الصدد أن ما أدخل وقتئذ على نظم ومناهج (مدرسة المعلمين العليا) سنة ١٩٢٥ بلغ بها درجة من الترقى جعلتها من حيث المادة والفن بحيث لا يقل خريجوها عن رصفائهم فى المعاهد الأوروبية أعداداً وصلاحية ونضجاً .

هذا قل من كثر من أنتاج ثورة الثائر المصلح بسبيل وضع أسس النهضة التعليمية على أمتن الدعامات وتوجيه أعمال التربية صوب الكمال لتكوين الوطنى المستنير الذى يعرف واجبه لبلاده .

. . .

ومن يمعن فى الأمر لا يلبث أن يؤمن بأن العقلية التى تنبعث عنها جميع هذه الابتكارات والأصلاحات لهى عقلية جبارة ترمى بهذه الجهود الى أن يبلغ وطنها ما بلغته الأوطان الأوروبية التى ضربت فى الحضارة الحديثة بأوفر سهم ...

بل أنى اعتقد أن رجلنا العظيم كان يرمى لأ كثر من هذا لمصر وبنى مصر وأذ كنا نعجب بهذه الفتوحات فى عالم التربية والتعليم ونحن طلاب حينئذ فما أجدرنا أن نزداد أعجابا بها الآن لتزداد أحساسا بثورة المصلح ونزداد احساسا بجرأة المجدد . . . .

... ولا يسعنى فى هذا المجال إلا أن أقول أنه لو أريد الحل الحاسم لمسائل التربية والتعليم فليؤخذ بآراء من جعل منها فنا شغفه حبه وحب الابداع فيه .

تربيــــــة

أصول

وانى أرى من الفائدة العامة أن أسجل هنا بعض آراء «الرجل» ضمن حديث لهصرح به بعد عشر سنوات منذتركه وزارة المعارف مادمنا بصدد الحديثعنه وعنآثاره فى التربية والتعليم: قال (معاليه) بالنص محدثا أحد أدبائنا الكرام

. . . .

. . . ولـكنى وقد انقطعت عن مزاولة شئون التعليم والتربية منـذ عشر سنوات ليس فى وسعى الآن إلا أن أعرض آراء أعتقد أنها قد تصلح أساسا للبحث:

إذا أريد تكوين الوطنى المستنير الذى يعرف واجبه لبلاده وجب أن تكون المدرسة وطنا صغيرا فيه يربى الصغير على مانحب أن يكون وهو كبير.

ولايتسنى ذلك إلا إذا تناولت التربية حياة الصغير فى

الدرس وخارج المدرسة فى المدرسة وفى البيت وفى البيئة التى يعيش فيها وكذلك تجدنى مع القائلين بأنه إذا وجد المربون الممتازون نعهد اليهم بالتلميذ طوال أيام تعليمه كلية لذلك يؤثرون الحياة الداخلية المدرسية فى التكوين .

والوطنى سواء أكان فى الحكم والسياسة أم فى الصناعة والزراعة والتجارة فى حاجة إلى قوة البيئة إلى قوة الخلق إلى قوة العلم . . وأذا ذكرت العلم فى المرتبة الأخيرة فذلك ما أقصده لأنه العامل الثالث فى تقدير صلاحية الرجال لخدمة الوطن فأن جاز للمرء التسامح فى شىء كان ذلك فى علمه لأن الحياة الاجتماعية أصبحت معقدة والمعارف الفنية فى كل نواحى الحياة أصبحت مستحيلة على الفرد فالاستعانة بالخبراء أمر مرغوب فيه بل ضرورى و بذلك يكمل المرء مانقصه من علم .

أما ضعف البينة أو ضعف الخلق فان كلا منهما يقضى على الرجل ولا سبيل فى العادة إلى معالجته .

من أجل ذلك تجدنى أحب أن توجه العناية بتربية الصغير فى هذه النواحى الثلاث جميعا. وأن يلحظ فى تقدير قيمته رعاية ما أصابه فى هذه النواحى الثلاث .

ويعجبنى ما ذهبت إليه بعض المدارس الحديثة من جعل المنافسة بين الطلبة فى كل هذه النواحى وجعل درجات التمييز بينهم شاملة لها جميعا بقدر متساو .

وفى هذه المدارس يناط بالأستاذ عينه فى الغالب العناية بالتربية البدنية والأخلاقية وروح الاجتماع . واذا قلت بتربية الأخلاق فانى لا أقصد الطاعة والمواظبة فحسب بالطريقة المعروفة فى مدارسنا بل أقصد تنمية ملكات التفكير والابتكار والقناعة والصدق والبساطة ونصرة الحق والاعتراف بالخطأ والشجاعة والشمم والصبر والكفاح وحماية الضعيف وأنصاف الخصم وأنكار الذات . . . هذا إلى حب النظام

والتعاون الوثيق والمنافسة الشديدة وغير ذلك من الفضائل الاجتماعية التى تتلخص فى الرجولة .

والمدارس الحديثة التى أشير إليها تعطى درجات متساوية لهذه الخلال كلها . وهم فى نظرتهم الجديدة هذه قد رأوا أن الرياضة البدنية بحالتها لم تعد تكفى فى تنمية الأخلاق بأكبر قدر ممكن ولذلك فتحوا بابا للمسابقة فى ابتكار ألعاب جديدة لتنمية ملكات الأولاد وهم يقصدون جعل الاتصال وثيقا بين الألعاب الرياضية ونظام الكشافة . وهذه التربية الأخلاقية لا تكون محددة بوقت ولا مخصصة بحالة بل هى تشمل حياة الصغير فى وقت الدرس وفى ألعابه وفى اجتماعه وفى رياضته . ففى كل هذه الظروف تتهيأ الفرص لأستاذهم لايقاظ هذه الغرائز فى نفوسهم وتنمية ملكاتها فيهم .

وإن حاجتنا إلى مدرسة أنموذجية على المثال عظيمة جداً . . .

وبعد أليست هذه خلاصـة أحدث نظريات التربية والتكوين وأصلح مايقوم عليه البحث ؟ !

لايفوتنى هنا أن أسجل عنت القوم ومغالطتهم أزاء ما أقام الرجل من أصلاحات وما أنشأ من نظم جادت بهـا قريحته الوقادة طبق أحـدث آراء التربية والسيكولوجية الحديثة .

. . . أنهم لاموه عليها فأوعز زعيمهم حينذاك إلى (برلمانه) أن يتهموا « الرجل » حتى فى الاصلاحات التى آمن بهـا رجال التعليم والتى تتفق وأحدث أوضاع التربية .

أراد « الرجل » أن يقنعهم فى ساحة برلمانهم فغلبهم طبعهم القديم وقال زعيمهم حينئذ ليس البرلمان قاعة محاكمة . . . أنكار للعمل الصالح والمجهود المنتج كذبة

يجب أن يسجلها الناقد ويحفظها التاريخ لكل مكابر حدثته نفسه بهلس

. . . ولكن سنة الله فى خلقه أن البقاء للأصلح وهذا ما كان وهذا ما سيكون .

. . .

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها

ويجهد أن يأتى لها بقرين

اقتصادى

نحن الآن فى سنة ١٩٢٨ .

وهنا أود لو أستطيع مواصلة الحديث كما ينبغى عن آثار رجلنا وهو وزير المالية .

. . . ولكن ألا يكفى أن تعلم عنه أنه لم يكن أقصر باعا فى هذا المضمار من غيره من وزراء مالية جاءوا من قبله ولم يبذه أحد منهم جاء من بعده .

ذلك لأن الرجل من طبيعته كما عهدناه دائما يعمل ويدرس ويبحث ويستقصى ولا تفتر همته فى سبيل الأجادة والأتقان — يشحذ همته العلياء فى سبيل الأجادة والأتقان حبه لعمله ونشاطه الحاد وإلمامه الغزير بالشئون العامة .

لذلك كان قديراً على ربط شئون الميزانية وتدبير المصروفات يحدوه فى ذلك عقليته الناضجة وعبقريته الممتازة ومنطقه القوى .

وقد قامت فى عهده فكرة ديوان المحاسبة وهذه فكرة بنت ابتكاره تشهد بالدراسة العميقة لشئون المال والاقتصاد وهى فكرة لاقت تحبيذ الأخصائيين من رجال المال كما حازت الاعجاب بخطورتها وعظمة الفكر الذى خلقها .

وكم تمنى الاقتصاديون تحقيقها لمراقبة أموال الدولة .

. . . كذلك أذكر أنه قامت فى عهده سياسة خاصة بالمنشآت الحكومية بالنسبة لما تتكبده المالية من أيجارات وانى أرى أنه ليس أولى للحكومة من شىء يوفر لها آلاف المبالغ التى تصرف سدى بلا مبرر مثل تحقيق هذه السياسة لسد ثغرة تبتلع الباهظ من الأموال .

أما وقد عرجت بالحديث على هذه الناحية من حياة الرجل فكم كنت أود لو أستطيع مواصلة الحديث عنها كما ينبغى وكما أحب .

قانون

ننتقل إلى سنة ١٩٣١ حيث « الرجل » وزير الحقانيـة (وزارة العدل . . الآن) :

. . على ماهر الذى كتب فى حداثتـه أبدع الفصول عن عصبة الأمم .

وعلى ماهر المحـامى والقاضى الذى تطوع للدفاع عن حقوق بلادة فثار ثورته وضحى بوظيفته الـكبيرة فى وزارة الحقانية . وكان لسان الوفد وعماده وواسطة عقده

وعلى ماهر الأستاذ الفذ للقانون الدولى ومحامى المفاوضات وحجة القانون والتشريع

وعلى ماهر وزير العلم والتعليم والتربية .

وعلى ماهر وزير التشريع والاقتصاد المالى .

. . .

كل أؤلئك يجتمعون الآن فى على ماهر وزير (العدل) .

وماذا نتوقع من رجـل بذ بعقليته الجبارة الفذة عقول الأخصائيين فى ميادين عملهم واستولت عبقريته على أعجابهم بقدرتها المتفوقة فى الابتكار وجرأتها الحكيمة فى التنفيـذ وهو القانونى الضليع فى وزارة القانون والحقوق والتشريع ؟!!

. . . وماذا تنتظر من الفنان البارع تعطيه آلة العزف التى درج على استعمالها ومارس التوقيع عليها لأبداع الألحان شجية تلعب باللب وتنفذ إلى القلب فتأسر الحس وتسحر النفس ؟!

فأى قوانين عدلت وأخرجت وأى تشريعات بسطت ونفذت ؟! وأى روح قوى نفخ فى أصول « التقنين »

. . . الأولى والأصح أن يتحدث هنـا رجال لمسوا هذه النواحى الفنية فى رجلنا وقائدهم .

وكم أتمنى لو أوفيه حقه باستيفاء مشروعاته القضائية

التى أقامها وكمل بها مقومات العدل ودعم بها أسس التشريع والحق .

ولا أنسى أن أذكر هنا أعداده لقانون الأحوال الشخصية تمهيدا لتحقيق مطلب من أهم المطالب الوطنية (حينئذ) هو ألغاء الامتيازات الأجنبية . . .

نبل

ثورة أخرى

ترانى أمر سريعاً بهذه الأدوار السابقة فى حياة «الرجل» ولكنى مهما أسرعت لا أستطيع إلا أن أقف برهة عند ذلك الدور الذى كان فيه الرجل وزيرا (للحقانية) .

بل إنى أحنى الرأس إكبارا لأنبل موقف يقفه وزير فى أمته ! وهل يستطيع أحد أن ينسى حوادث (البدارى) تلك الحوادث التى دمغها القضاء بحكمه وقال عنها أنها إجرام فى إجرام فلم يرض « الرجل » أن يبقى وزيرا فى وزارة رأى أنها أخطأت فى حق الوطن بما جرى تحت سمع و بصر وزارة الداخلية حينئذ من أفعال أثبتها التحقيق واهتزت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

. . . اشترك فى الحكم ولكنه لم يشترك فى الدفاع عمن أجرموا

وحاشا لمثله أن يغريه الحكم فيصم أذنيه عن حوادث لعنها القضاء — وهو وزير العدل ... استقال « الرجل » من الوزارة . . .

أليست هذه ثورة أخرى . . ثورة على الطغيان والطغاة ... موقف ظل صداه يدوى قويا .

موقف علّم الكثيرين حقيقة ما كانوا يجهلون من نفسية الرجل وما هى عليه من مروءة وانسانية وحساسية .

وهل من عبقرية إلا وأهم أركانها النبل الانسانى الحساس ؟! والرحمة الانسانية المرهفة ؟!!

لا شك أن استقالة الرجل جاءت دليلا جديدا على امتياز خلقه وانفراده بعاطفة أسمى عنصرا مما يستطيع الناقد أن يتصور !!!

ألا فليسجل التاريخ ...

استقال « الرجل » وهو عزيز مرفوع الرأس . مما هزَّ عواطف المصريين جميعا

وأعقب استقالته من الوزارة استقالته من الحزب الذى دخله مصريا وكان فيه مصريا لا يستطيع منصف أن يعده حزبيا أن لم يعده ألد أعداء الحزبية

. . . وكأنه قام بهذا لينبه الجماعات المصرية إلى حرج الحالة الناشئة من تعدد الأحزاب ولفتهم إلى خطورة التطاحن بين أبناء الوطن الواحد وكأنه بهذا أعلن مرة أخرى ضرورة الاتحاد القومى .

أو ليس هو الذى نادى بذلك من قبل !

أول دائما : أول فى الثورة — أول فى العمل أول فى التعاون القومى

أو هو ثائر دائما: ثائر على الاستعباد ثائر على النظم البالية. ثائر على الخمود — ثائر على الطغيان ثم ثائر على الحزبية والاحزاب .

. . .

— ثم استقالة أخرى هى استقالته من الاشراف على ادارة تلك الدائرة العظيمة دائرة المرحوم الأمير سيف الدين .

— ولو أن هذه الناحية لا تمس الحياة العامة « للرجل » العظيم إلا أنه قد كان لها فى نظر البعض شىء من الصلة . —

ولا أقول أن أمر الدائرة قد أسند أليه لما عرف عن « الرجل » من أمانة ونزاهة وذمة يعجز عن وصفها الوصف فيكفى أن نعلم أن (معاليه) تولى ادارة الدائرة عقب فوضى ذريعة نشرت الفساد فى أعمال الدائرة . . . وقد خرج منها وميزانيتها متضاعفة سليمة قوية وأمورها مضبوطة أدق ضبط مما دل على مقدرة اقتصادية فائقة ونزاهة كريمة منقطعة النظير .

واذا كانت كافة أعمال « الرجل » قد اختصت بطابع الابتكار فهى فى هذا المجال لم تفلت من هـذا الطابع الخاص .

فنظرة واحدة فى الأعمال الانشائية المتعلقة بممتلكات الدائرة تدل على تفكير وتدبير ممتازين . . . فمثلا هذه

العمارات الشاهقة الفخمة والمؤسسة على أحدث طراز مما نعلم أنه لم يكن له شبيه قبل ظهورها هى خير شـاهد على ما تقرر من اختصاص فى الابتكار ودقة فى التدبير امتزجا بجميع أعمال « الرجل » العام منها والخاص .

. . . إنمـا يجب أن نستخلص من هذه الاستقالات جميعها أن رجلنا العظيم ليس من الباحثين عن الذهب . .

. . .

استعرضنا فى شيء من الايجاز بعض صور من حياة « على ماهر » الوزير فاذا جاءت هذه الصور مصغرة فذلك لأنى أرى أن القلم ينوء بتعداد آثار «الرجل» وأرى الصفحات جميعا تضيق عن واحد من المناصب التى تولاها فما حيلتى ازاء مناصب متعددة وصفحات محددة ؟

. . . حسبى أن أثبت هنا أن جهود « الرجل » التى لا زلنا نستمتع بآثارها ستبقى خير شاهد ينطق بأن على

ماهر » الوزير قوة بنائية لم نسمع بمثلها ونشاط جم لا حد لتياره وعبقرية مبتكرة لا شبيه لها .

. . . وتتلاقى هذه جميعا فى شخصية من أبدع طراز لم يولد بعد من يستطيع أن يملأ فراغها ! !



مفاجآت

تزحف بنا الأيام إلى سنة ١٩٣٥

رجلنا العظيم فى هدوئه و . . عزلته . .

أو هو رابض فى عرينه . .

. . الأحزاب المصرية فى جدال . القومية المصرية فى قلق والرأى العام قد مل حالة عدم الاستمرار . وحالة السياسة المعلقة .

وتصريح الوزير الانكليزى (هور) يسرى فى سمع الأمة فتتحرك الشبيبة . ثم تستيقظ الوطنية المصريه وتهب من مرقدها .

. . تضحيات جديدة . . شباب يستشهد

عزمة الشباب وهمة الشيوخ تعملان للوحدة .

فى سنة ١٩٣٥ ثورة جديدة ...

دستور معلق

أمل معلَّق . .

نداء حار ودماء حارة .

• • •

فى هذه الأثناء أولى المغفور له الملك فؤاد الأول ثقته من كان فى نظره وفى نظر العارفين بالحقائق الرجل الأول الذى يستطيع أن يقف وسط الزوابع والعواصف فيحيلها نسيماً عليلا ! ـ الرجل الأول الذى يقيس بمنطق الحوادث وسائل العلاج على ضوء حنكته وذكائه فيختصر الطريق لتكييف الواقع مع الأمل .

هذا هو « على ماهر » قد اختاره الملك الراحل رئيساً لديوان جلالته !

رئيس

يوليو سنة ١٩٣٥

من هذه اللحظة تبدأ حلقة أخرى فى تاريخ « الرجل »
ومن هذه اللحظة يبدأ قسم آخر فى تاريخ مصر أو بعبارة أخرى أقول أن هنا « نقطة دوران » فى اتجاه الحوادث وتتابع الفصول .

. . لم يتعود المصريون أن يلمسوا آثار رئيس الديوان تمس حياتهم ولم يتعودوا أن يحسوا شخصيته يسرى تيارها فى كيانهم من قبل أن يتبوأ رجلنا منصبه الخطير لأول مرة ولا حاجة إلى الحديث عن خطورة هذا المنصب وحرج موضعه وثقل أعبائه وخاصة فى الحالة والظروف التى نحن بصددها فى هذه الفترة . .

شعور قومى يقظ متحفز يريد أن يدفع الطريق ويرفع الحواجز !

موضع شاذ يتأرجح فيه الدستور !

تصريح الانجليز يستفز الوطنيين جميعا و يرهف أعصابهم

. . .

ولـكن هل يعجز الرجل الأول شيء من هذا ؟

هل تخور عزيمته أو تلين إرادته ؟

كأنى بالرجل يحدث نفسه يومئذ فيقول « ليس فى قاموس العربية كلمة مستحيل »

ها هو يعمل . . .

رسالة من الملك إلى شعبه تتضمن أسمى المبادىء وواجب الجميع نحو الوطن وان الملك للجميع لا لحزب دون حزب. وأن بنى الوطن مصريون لا لحزب ولا لرجل من المصريين بل للوطن !!

أجمل رسالة من صاحب العرش إلى شـعبه لأول مرة وكانت (فى عيد الفطر) :

الملك يهنىء شـعبه بالعيد ويتأسف لمرضـه ومع ذلك لا ينسى أن يذكر الشعب بالوحدة !

ناقوس !

إنى أعتقد أن رسالة المغفور له الملك فؤاد إلى شعبه كانت بمثابة ناقوس نبه المصريين إلى خطر حالتهم وضرورة إعادة بناء الوحدة الوطنية فبمجرد إعلانها سرى معناها فى كيان الأمة فأثار فى النفوس الرغبة فى تلمس الحقائق وتوديع الخيال وتوليهم شطر الواجب ! !

لكم كان نظره رحمه الله بعيدا

ولكم كان قادرا على اعطاء كل حال لبوسها

ولكم كان موفقا فى استنباطه الحقائق واستخلاص النتائج .

ولكم كان صادق الظن برجل أولاه ثقته فأثبت بلباقته وتأثيره ومقدرته أنه الأول بحق من بين الرجال وأنه بطل يحق يأتم به الأبطال !

وهنا يجدر بنا أن نذكر آخر مواقف الرجل قبل أن يتبوأ مركزه السامى : فقد رأيناه يغادر منصبه كوزير ويودع المناصب جميعا ويرغب عنها جميعا ورأيناه فى آخر دور من ثوراته ينفض يده من الأحزاب جميعا .

ويمر أكثر من عامين على هذا الموقف .

أليس من الغباء أن ننسى منطق الأقدار !

من ذا الذى لا يقر بأن الأقدار الحكيمة أعدت أصلح الرجال لأخطر المناصب فى أحرج الظروف ! ! ؟

من لا يؤمن أعمق إيمان بأن الحكمة الإلهية أعدت الرجل لهذه اللحظة الخطيرة فى حياة الوطن ؟ !

ولم لا ؟

هل من العجيب أن رجلنا الثائر الأول تتجه اليه الأنظار عند بدء ثورة ثانية !

يقظة

. . . استهل الرجل ، أدواره فى منصبه الخطير الدقيق، بالعمل على جمع الأمة جميعها على أمر واحد وتوجيهها إلى غرض واحد وأن تنسى كل شىء عدا أن مصر وطن واحد على رأسه قائد واحد .

. . . إنها لسياسة جديدة لم يعهدها المصريون من قبل وكثيراً ما كان يحلم بها المفكرون من قبل وكم من مرة حاولوا تحقيقها فكان الأمل يتمخض فى كل مرة عن وهم أوحلم حتى قيض الله لمصر من يستطيع أن يبدع من الخيال حقيقة واقعة أبدع من الخيال وأبهى من الحلم الجميل

* * *

ماذا جد ؟

ديبلوماسية بارعة لم يجهلها المصريون من قبل ــ أخذت

تستثمر ثروة التجارب وجماع حنكتها لاستعادة الوحدة الوطنية وبناء القومية المصرية ليخلص المصريون من أثار عهد النزاع الحزبى الذى طال سجاله وذاقت منه البلاد الأمرين فطال شوقها إلى ائتلاف جميل فى ظل الملك والوطن

• • •

أحسب أن هذه اللحظة كانت دور اختبار للأمة ولروحها المعنوى : صاحب العرش يشير بتدعيم الوحدة . !

الأمة ترغب فى ائتلاف الأحزاب . !

العلاقة بين المصريين والانجليز على شفا جرف هار ؟ !

الأحزاب جميعا تريد حسم الموقف ؟

الشباب يعمل والشيوخ يجاهدون !

رجلنا العظيم موضع ثقة الملك يريد أن يحقق رغبة هى رغبة مولاه وهى بغيته هو وهى أمل الشعب الذى أخذ يلتفت اليه بأمعان !

« على ماهر » حينئذ موضع الأنظار وقبلة الآمال !

توفيق

عاهدت نفسى منذ بدأ هذه العجالة فى حياة رجلنا أن أصرح بالحقائق كما هى غير متأثر بعاطفة خاصة وإذا فليس ما يمنعنى من أن أقول أنه منذ هذه اللحظة فى حياة الرجل وتاريخ مصر بدأت نفسية الجماهير عموما تتفتح وبدأت تنصرف عن خيــال الطفولة وبدأت تفهم حقيقة الرجل كما يجب

لا أقول أن البعض أساءوا فهمه طيلة الحقبة الماضية

إنما أقول أن كثيرين كان لهم العذر فيما مضى لما قصروا فى هـذا الواجب فانتشار تضليل الأدعياء من جهة ونقص نضوج عقلية الجمـاهير حينـذاك من جهة أخرى وترفع « الرجل » عن الدعاية والأعلان من جهة ثالثة كل هـذه العوامل ـ فضلا عن محاربة خصومه إياه وهو صامد وهو

هادىء يسخر - كانت حجابا بين كثير من المصريين و بين الحقيقة لم يستشفه إلا الذين استطاعوا وزن الرجال بمعايير الكفاية الحقة ومنطق العظمة الصحيحة ....

الآن حصحص الحق !

صدق يقين «الرجل» وبلغت الأمة درجة تؤهلها لفهم الرجال

آن أوان نضجت فيه العقلية المصرية فاستطاعت أن تعتمد على الحقائق ولا تتلمس الخيال وأصبحت تستطيع تقدير الرجال

. . . على ماهر موضع ثقة الملك

وعلى ماهر موضع ثقة الأمة

على ماهر واسطة العقد

على ماهر لم يعد للمثقفين فحسب بل للجميع!

جبهة مفاوضات

بعد جهود جبارة ومحاولات تكاد تكون المعجزات وفق الله الرجل لتكوين جبهة قومية من جميع الأحزاب المصرية وقد حفزه إلى ذلك كما قلنا تحقيق رغبة مولاه وتحقيق حلمه القديم وتحقيق غاية الشباب والأمة

وما دمنا نستقصى الأسباب ونربأ بأنفسنا عن المغالطة فلا يجوز أن ننسى ما أداه البعض لتقريب وجهات نظر الأحزاب المختلفة — إنما يجب أن يصحح خطأ قد شاع حينئذ بنسبة ذلك الأثر إلى واحد أو اثنين من الرجال — فرجلنا هو أول من سعى بشخصه فى هذا السبيل لأنه هو أول من أبدى هذا الرأى لجلالة الملك فؤاد وحظى من جلالته بالموافقة واستدعى رجال الأحزاب جميعاً لمقابلة جلالته . .

وتجلت مقدرة الرجل على الامساك بنواصى الأمور أكثر من هذا الدور — دور تأسيس الاتحاد الجديد أو على الأقل

ضع نواته — فى الأدوار التالية وأولها التمهيد للمفاوضات ..

ورجلنا هو الذى مهد للمفاوضات المصرية الانجليزية

قد يغيب عن أذهان الكثيرين أن نية الانجليز كانت على

أنها ليست مفاوضات كالوضع الذى هيئت به إنما كانت شيئا

من قبيل الامتحان (أو جس النبض)

وإذا كنت للآن لم أتحدث عن شىء من خلق الرجل

فانى أترك للقارىء أن يستنتج ما تنطوى عليه نفسية الرجل

إزاء سعيه الكريم لإقناع الانجليز حينئذ بضرورة عقد

الاجتماعات فى مكان ترضاه الهيئة المصرية للمفاوضات وقد

أراد الانجليز أن يكون الاجتماع بدار (المندوب) حينئذ —

ماذا ترى أيها القارىء الكريم ؟ !

. . . ولم تقف جهوده عند هذا الحد بل إنه ظل يرعى

أعمال الجبهة والمفاوضات من كثب . . وهنا أيضاً يجب ألا

تغيب عن الأذهان حقيقة أخرى قد يجهلها الكثيرون وهى

أنه كادت تنقطع المفاوضات لما أرسل (المندوب السامى) حينئذ مذكرة من حكومته تعلن فيها أنه إذا لم تنجح المفاوضات بين الطرفين فان الحكومة الانجليزية يكون لها الحق فى استرداد حريتها فى العمل !

كاد يقطع الخيط وكادت تتحكم المحنة وكادت تفشل الآمال ولكن «على ماهر» يقظ . !

نعم على ماهر مرة أخرى ومرات

— سارت المفاوضات فى طريقها فلا انقطع الخيط ولا فشل الأمل ! ! — إمدادات تجود بها دبلوماسية (الرجل) وفطنته ولباقته .

. . .

هذه حقائق يجب علينا أن نذكرها كلما ذكرنا الاستقلال حقائق يجب أن يعلمها الأبناء والأحفاد كلما ذكرت لهم معاهدة الاستقلال وكلما درسوا تاريخ مصر الحديثة

ولا أطالب بهذا لاسم «على ماهر» ولكن لإنصاف الحق أولا وقبل كل شىء

أقـــــدار

نحن الآن فى سنة ١٩٣٦ : —

لما رأى المغفور له الملك فؤاد أن الوزارة القائمة حينئذ (وكانت وزارة نسيم باشا الأخيرة) مرتبكة لدرجة عجزت فيها عن تدبير حل للموقف إزاء دستور سنة ٩٢٣ ورأى الدور الذى تجتازه البلاد حينئذ بخصوص الدستور . استدعى رجال الاحزاب جميعاً ووقف على آرائهم وما رأوه حلا للموقف

من هو الرجل الذى يستطيع إنقاذ الموقف ؟

هو رجلنا الأول — مرة أخرى بل مرات !

هو على ماهر باشا

هكذا أجمعت الأحزاب على رجل واحد هو (على ماهر):

هو رجل ذلك الموقف !

• • •

ما أحكم تصاريف القدر !

هى الأقدار التى هيأته فى جميع مناصبه السابقة هى التى أعدته لأحرج ساعات مصر على الاطلاق !

وكم ليد الله فى تكييف الأوضاع من حِكم تسمو عن العقل الانسانى وتفوق كل حساب وتقدير ! ؟

• • •

هل يحجم الرجل عن موقف يعلم ما يحفه من الشدائد والمشا كل ؟ لا — حاشا لمثله أن يتردد — إنه يقدم لا متهيباً، ولا متردداً مادام هو نداء الوطن والملك

أليس هو الثائر الأول الذى ماجبن ولا تردد قط !

أليس هو « على ماهر » وكفى ! !

عهد !!

الناقد أن يدرس خلقاً آخر للرجل تجلى فى هذا الموقف

وعلى الناقد ألا ينسى أن الرجل قد قَبِل الوزارة وهو على تمام

العلم بحرج الظرف وخطورته .

. . .

تولى (دولة) على ماهر باشا الوزارة .

سعى اليه المنصب فى أشد المواقف !

لجأت اليه القومية المصرية فكان كريماً قادرا !

تولى (دولته) الحكم فأحاطت بوزارته ظروف تنوء

بمسئولياتها أقوى الوزارات . .

ولكن حكمة الرجل وحنكته وشجاعته ولباقته وأيمانه

القوى أهل لكل الظروف مهما قست أوازدحمت مشا كلها

وما أحوج القلم لمقدرة على البيان فى هذا المجال أو على

الأقل ما أشد حاجته لأن يحمل أعباء تعدادما آثر ذلك العهد

عهد لازال المصريون وغير المصريين يذكرونه حتى هذه الآونة وأعتقد أنه سيظل ذكرهم إياه حبيبا إلى نفوسهم عالقاً بأذهانهم .

وأن الزمن مهما طال من بعده لا ينسيهم مآثره بل أن مرور الزمن أدعى للذكر وتصور الماضى الرائع .

عهد أطل على العهود جميعا فكان فخر الزمن فى تاريخ مصر الحديثة ومن ينسى أو يستطيع أن يتناسى عهدا كله حركة دائبة . كله نشاط فعّال . كله سرعة عجيبة . كله بناء وابتكار و إتقان فى الانشاء والبناء والابتكار — لازال مدى ضوئه يأخذ بمجامع القلوب الأفهام !!

مثل !

عهد المصريين بالوزارات الانتقالية أنها تقوم لغرض إجراء الانتخابات العامة والأشراف عليها وضبطها حتى تنتهى فى الفترة المحددة لإعلان نتائجها — وهذه الصفة لحكومة مؤقتة تدعو إلى ركود الأعمال التى يلزمها أن تصرفها وإلى بطء سير دولاب الحركة الحكومية — ولا غرابة فى هذا ما دامت الحكومة المسئولة تتولى الحكم لغرض معين تبذل كل جهدها وعنايتها لإتمامه أحسن ما يكون .

هذا عهد المصريين بمثل هذه الوزارات .

وهكذا كان يظن المصريون وغير المصريين بوزارة مؤقتة تقوم فى هذه الآونة برآسة (دولة) على ماهر باشا أو غيره لأعادة الحياة النيابية واجراء الانتخاب .

وماذا كان ينتظر الناس من وزارة تضرب موعد نزولها

عن كراسى الحكم قبل أن تتولى الحكم ؟ وماذا كان ينتظر المفكرون والمؤمنون بحقيقة ماهر باشا من وزاره تحدد عمرها بثلاثة شهور لن تزيدساعة ؟

بل ماذا كان ينتظر أى انسان يعلم أن «عليا» يتولى الحكم لأول مرة كرئيس وزارة ؟ . . .

ثم ماذا كان يقول الناس وهم كانوا يعلمون أن «عليا» الذى أسس الجبهة المتحدة يجب أن يرعاها و يحوطها بفيض شخصيته و يجب أن يشمل المحادثات البادئة حينذاك بشىء من لباقته وعنايته ! ؟

. . .

ولكن ما كادت هذه الوزارة — وجميع رجالها من القوميين — ما كادت ترقى إلى كراسى الحكم حتى سرت فى البلاد هزة تيار كهربى ليس بصاعق أو مخيف وانما يبعث الضوء والحياة بانطلاق لطيف !

طاقة !

لم تقصر مهمة الوزارة على ما كان ينتظر الناس جميعهم من تصريف الأعمال وملء فراغ الحكم ووضع إجراءات الانتخابات بل أن رجلها رأى أن ذلك أمر لا يناسبه — رأى أن قصر مهمته على ذلك لا يتفق وطبيعته التى كان يجهلها كثير من المصريين — رأى أن الاكتفاء بهذه الأمور والاستنامة إلى تصريف أعمال (الدواوين) وهو إجراءات خاصة مهما كانت شاقة فهى محدودة — رأى أن الاكتفاء بها أمر لا يتفق وشرف المنصب وتكاليفه !

لا بد من عمل !

لا بد من ابتكار !

وهل نسى من ظنوا أن « الرجل » قبل الحكم ليجرى الانتخابات ثم يقول السلام عليكم — هل نسى هؤلاء أن

ماهرا ليس رجل كباقى الرجال بل رجل امتاز على غيره من الرجال و بذهم جميعا .

. ˙ .

لهذا ما كادت الوزارة الماهرية تلى الحكم حتى أخذ « الرجل » ينفذ عهداً أخذه على نفسه وهو أن يصلح وأن يبنى وأن يبتكر وأن يخدم الوطن أينما كان ومتى شاء وقدر ما يطابق طاقته الجياشة .

. . . مشروعات لم تخطر ببال أحد من الحكام —

ابتكارات لم تجل بخيال أحد من المصريين —

بل هى ثورات جديدة تهدم البالى لتشيد الجديد !

وهل عهدنا « الرجل » إلا ثائرا يجيد تنسيق ثورته وجعلها حركة منسجمة متآلفة الألوان متوافقة الأنغام ! !

أحمد على ماهر يوقظ العقول ببعث (حياة) بديعة .

. . . وكل ما كان يرمى اليه هو وضع الأسس الصالحة

المطابقة لروح العصر وتوطيد الدعامات ليمهد السبيل للمصريين يبنون من بعده ! !

وبوده وبود المصريين لو نفذ خططه فى رأى البناء وجمال الصنعة ... ولكن بينما كان هو كذلك .

وبينما كان منهمكا فى أعمال ينوء بحملها أى رجال الأرض طرا ! !

فبما هو كذلك يعمل على ما أعلم — علم اليقين — يعمل فى اليوم طيلة النهار وجزءا طويلا من الليل ٢٠ ساعة فى اليوم حتى بالكاد ينام أو يرحم صحته التى يحتاج إليها المصريون أشد الحاجة — فبما هو يحرق نفسه لصالح البلاد وخير الأمة إذا بمرض الملك فؤاد الأول وقد طالت أيامه تشتد وطأته وتشتد والأمة مشغولة مهمومة . . !

وولى العهد حينئذ مغترب فى بلاد الانجليز ! ..

ظرف عصيب رهيب . . !

ولكن الله الحكيم الذى يرعى الكنانة قد تجلت حكمته العجيبة فى أن يكون « على ماهر » فى هذه اللحظة هو «الرجل» الذى تشخص اليه الأنظار وتتجه القلوب إلى الله نسأله أن يعين الرجل و يهبه التوفيق والسداد والحكمة .

فالمقدرة والذكاء والمهارة وحدها لا تكفى إلا اذا ألقت عليها العناية الربانية فيضاً يدفعها و يملأ صاحبها ثقة بربه ونفسه .

... يشتد المرض على الملك (الراحل) ! !

و يشتد انفعال أعصاب الامة !!

ملك

أبريل سنة ١٩٣٦ .

وهو فى وسط أعباء ومشاكل تهدم أعصاب الرجال.
والوزراء جميعا لا يكل ولا يستكثر بل صامد ثابت لا تهتز.
أعصابه وكأنه أحس بما هوأدهى وأمر ... وكأنه كان يشعر
أنه مبعوث العناية فى أدق وأخطر لحظة فى حياة الوطن !!

أليس من الجهل أن يظن بأن أمور الدنيا تجرى بدون
أن ترعاها عين الله الساهرة . . . . !

... فى تلك اللحظة طلب (دولة) ماهر باشا الى (المندوب
السامى) أن يبلغ حكومته أن الحكومة المصرية لن تتمهل
فى تطبيق قوانين البلاد فى حدود الدستور بكل دقة وأنها
لن تقبل أى تدخل وأنها مصممة كل التصميم على هذا ان
وقعت الكارثة . . !!

. . .

مات الملك . . .

عاش الملك

. . .

منيت مصر بفقد ملكها المحبوب وقضى رئيس الدولة ..
اضطلع مجلس الوزراء بتنفيذ أحكام النظام الذى ألقيت
مهمته فى ظل الملك الراحل . .
ولاء للأسرة المالكة واحتراما للدستور نادى « على
ر » بالملك الجديد حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول .
ثم تولى مجلس الوزراء منذ هذه اللحظة سلطات الملك
ستورية باسم الأمة المصرية وتحت مسئوليته حتى الوقت
ى وجب عليه أن يسلم فيه مقاليدها إلى مجلس الوصاية .

أعصاب !! .

أثقال أى أثقال ! . .

إجهاد أى إجهاد تنفعل به أعصاب المحقق ليلم بأطراف المهام والمسئوليات والأعباء التى تراكمت فى هذه اللحظة أمام رجل واحد ! هو «على ماهر» !

فمن هنا الجبهة المتحدة فى بدأ أعمالها وقلوب المصريين متجهة إليها وهى لما تزل بضة ناشئة فى حاجة أشد الحاجة إلى رعاية مؤسسها من بذل أكرم الجهد فى سبيلها وهو على ماهر !

والمحادثات المصرية الانجليزية فى حاجة أشد الحاجة إلى لباقة «على ماهر» ومن هنا الانتخابات لا بد أن تجرى ولما يتفق حينئذ على أساس توزيع الدوائر بين الأحزاب .. بينما الموعد الدستورى على مسير مرحلة قريبة كل القرب فالزمن ضيق فى حاجة أشد الحاجة إلى سرعة على ماهر ! ..

. . ومشروعات لازمة أشد اللزوم لكفاية الاستقلال وصالح الحياة المصرية وإصلاحها وهى فى حاجة أشد الحاجة إلى جرأة رجل واحد هو « على ماهر » !

. . . وفوق هذا وذاك وقبل كل شىء فالعالم من أقصاه إلى أقصاه ينظر إلى مصر ويرى كيف تدبر أمورها وكيف تتهيأ لمستقبلها بعد مصابها الفادح بفقد الراحل العظيم ومصر من أقصاها إلى أقصاها تضع أمورها ومآلها فى يد رجل واحد هو « على ماهر » !

! ! قلب أى قلب !

وأعصاب أى أعصاب !

إيمان !

سبحانك ربى

سبحانك ماأحكم تصريفك لكونك وخلقك

سبحانك تشمل قضاءك بلطفك

أليس من بليغ حكمة الله أن يكون «على ماهر» هو الرجل
الذى يشرف على شئون مصر ومستقبل مصر وآمال مصر فى
أخطر وأدق أوضاع الأقدار فى مصر ؟ !

أليس الله بكاف عبده ؟ :

أجلّ الأمانات طراً وأجدر الرجال بحملها ! مشا كل
ومشاغل ليست من المسئوليات التى تقوم بها الحكومات
كل يوم بل هى قضايا من كليات التاريخ !

وأن البت فى واحدة منها لايلبث أن يجعل الأمة فى
موضع يتغير عنده مجرى التاريخ !

وليست هى الحكمة ، اليقظة : السرعة ، الجرأة ، الحزم بالأمور التى كان يستدعيها الموقف حينئذ وكان يستدعيها وحدها بل أن ما كان يجب أن يسبق هذه جميعا هو الاخلاص والتفانى فى الاخلاص والاستمساك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها لأن المسألة هنا ترجع إلى الضمير والذمة .. فلولم يكن «على ماهر» هو الرجل الذى ملأ فراغ الحكم حينئذ هل كان يكون المصريون اليوم ماهم فيه ؟!

. . . كنا نقول حينئذ « ماذا كان يكون الحال يا ترى لو لم يكن على ماهر فى الحكم ؟» وكان الناس يقولون « لو كان غير على ماهر لكان الأمر بيد الانجليز »

سبحانك ربى ما أعظم حكمتك فى تصريف شئون الممالك !

٣ شهور = ٣٠ عاما

لم يعد « على ماهر » بالتجارب والمواهب عبثا
ولم تتكيف شخصيته الفذة بطابعها الخاص عبثا
ولم تضعه الأقدار فى منصة الحكم فى هذه الآونة عبثا

• • •

يجب أن تعلم الأجيال ماقام به « الرجل » فى هذه الآونة التى شخصت فيها أنظار العالم إلى مصر : —

« على ماهر » يواجه كل مشكلة و يتناولها بمرونة وجرأة فينفخ فيها نفخة الساحر ويحيلها بسيطة سهلة و يجعل حل عقدتها أمراً واقعاً ملموسا !

« على ماهر » يمسك بما أعدته له الظروف من مسئوليات ولا يطلق شيئا منها حتى يدعه حقيقة واضحة راهنة تشهد بأصالة رأى الرجل ونافذ بصره وتفوق سياسته وشديد عزمه

ماذا رأينا حينئذ ؟

رأينا « الرجل » يحوط الجبهة برعايته ويشرف على المحادثات المصرية الانجليزية .

رأينا « رجل الساعة » يذلل كل ما كان يطرأ من عقبات أثناء المحادثات .

وكم من مرة كادت تفشل جهود الجبهة فلا تكاد يد على ماهر تظهرحتى تنقشع الغيوم بسر أخلاص عجيب وايمان أعجب منه ! !

رأينا الحكومة الماهرية تقوم بواجبها أصدق ما يكون فى الحداد على الملك الراحل وتعـد عدتها أسرع ما يكون وتنادى بالملك الجديد .

ورأيناها تقوم بواجبها أكمل ما يكون لاستقبال المليك المحبوب

فقه . . .

رأينا اجراءات الانتخابات لمجلس النواب تجرى بأكمل وأسرع ما يكون .

ثم رأينا الموقف يتحرج لضرورة اجتماع البرلمان بمجلسيه لاختيار الأوصياء في موعد حدده الدستور قبل نهاية عشرة أيام من وفاة الملك بينما كانت انتخابات الشيوخ لم تجر بعد وبينما ينص الدستور على اجرائها بعد انتخابات النواب بعشرة أيام . ! !

ثم تعيينات خمسى أعضاء الشيوخ . . . .

ولكن رأينا آراء علماء الفقه الدستورى والقانون وأبحاث رجال الجبهة تبسط وتناقش ابتغاء الوصول إلى حل دستورى لا غبار عليه ؟

عرضت اقتراحات الأحزاب فلاقت اعتراضات دستورية !

عرضت فتوى قلم القضايا فلم تحظ بالموافقة الاجماعية !

أجهد جميع الرجال رؤوسهم فلم يصلوا إلى حل يرضى الجميع !

جدال عنيف . . .

موقف معقدة نواحيه . . ! . . .

كل هذا قد تجلى فى اجتماع عقده « على ماهر » بدعوة أعضاء الجبهة المتحدة .

وكل هذا كان يناقشه هو ويقيسه بمقياس الدستور والقانون ويعرض لكلٍ أوجه النقص فى فكرته أو جوانب الضعف فى اقتراحه !!

رجال مصر جميعا وصفوة رجالها من أعضاء الجبهة وعلماء القانون لم يستطيعوا الأنتهاء إلى حل موفق سعيد حتى أدلى «على ماهر» باقتراح لم يستطع معترض أن يجد فيه همزا أو شبه ضعف بل اقتراح حاز رضا الجميع وتأييد الجميع لأنه قام على أمتن دعامات الفقه والبحث الدستوريين والأقناع فى حدود القانون !!

؟ ؟

انتهى المصريون بلسان الجبهة القومية إلى رأى « على ماهر » على أن تجرى انتخابات الشيوخ خلال مدة انتخابات النواب — وقد استعان (دولته) على تقصير المدة بالطيارات لارسال أوراق الانتخابات ألى الجهات البعيدة .

و بذلك قدم موعد انعقاد البرلمان لاختيار الأوصياء فى الموعد الدستورى .

وكذلك تهيأت الحكومة الماهرية لاصدارمرسوم بتعيين خمسى أعضاء الشيوخ .

وقبل ذلك أقنع« الوزير الأول» أعضاء الجبهة بالفتوى الشرعية التى نصت على اعتبار سن الرشد المدنيـة ١٥ سنة حسب بيان الهيئـة الشرعية التى كونها حينذاك من حضرات الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار

المصرية ومن رئيس المحكمة الأهلية الشرعيـة وقد أيدها في ذلك رأى رئيس لجنة قضايا الحكومة .

و بناء عليه أصدر قانون باثبات سن الرشد من الناحية المدنية لجلالة الملك .

وأخيرا اجتمع البرلمان بمجلسيه فى هيئة مؤتمر ونظر فى اختيار الأوصياء .

. . .

مهام هى أخطر تكاليف التاريخ تجمعت فى وقت واحد فقام بها رجل واحد عاونه فيها زملاء مخلصون وقام بها كريما أكرم ما يكون أنسان لو أن أحدا من الناس كان يستطيع أن يقوم بها — وقام بها فأحكم تنسيقها بما يشهد الله والملك والوطن على أروع فنون التفانى فى سبيل حقوق الله والملك والوطن و بما يشهد الناس على الرجولة فى أمة خير الرجال !

أمانة . . .

وفوق هذا وذاك أراد « الوزير الأول » ألا يحرم أمته من نعماء تفكيره وحسنات ابتكاره و بديع منتجاته العقلية — لم يرد «الرجل» أن يضيع على بلاده فرصة أيقن أنه يكون فيها نافعا لها بما ينبغى عليه أن يمدها به من مقتنيات عبقريته وفيض نبوغه فتقدم بمشروعات هى فحوى برنامج أصلاحى وخطة أنشائية من طراز لا نظير له يرى الناقد فى تفصيلهما بواعث الاعجاب والعجب .

. . .

وأخيراً وقد ضرب « الرجل » أروع وأمتع الأمثلة فى الأخلاص والوفاء لمليكه و بلاده طيلة الوقت الذى تجمعت فيه له السلطات الملكية ومن قبل — تحين ساعة كانت تود

الأمة لو أن بينها و بين حاولها أمدا بعيدا إذ يقدم « الرجل » استقالته . . .

« استقال بعد أن بذل غاية الجهد لصيانة الوحدة القومية كما وعد وكما أراد

« استقال بعد أن قام بواجبه فى تمهيد السبل للمفاوضات وفى أعاده الدستور ، وقبل ذلك بذل أخلد جهد لتوثيق عرا الأمة والعرش » . . .

« استقال بعد أن أتم المهمة التى أخذها على نفسه بما اغتبطت له الضمائر وقد أدى الأمانة كاملة وأكثر من الكاملة » .

« استقال بعد أن خدم الأحزاب والجبهة والمفاوضات و بعد أن خدم مجد الوطن وحقوق الملك .

استقال « على ماهر » راضيا عزيزا مرضيا . . .

استقال وقلوب المصريين لا تنسى عهده ولن تنساه .

بل وسيظل المصريون يذكرونه و يطلبونه . .

(٤)

مشروعات

ذكرت فى بعض مواضع سابقة من هذا الكتيب بعض ما ترك « على ماهر » الوزير فى مختلف الوزارات مما كان له الشأن كل الشأن فى أصلاح الوزارات التى حل بها وجعل نظمها ملائمة أوفق شيء للنهضة الحديثة أو بتعبير أدق كان ليد على ماهر الوزير أعظم فضل فى اقامة نظم هذه النهضة وعلى الأخص وزارة المعارف (وأى وزارة غير وزارة المعارف لها الصدارة فى التوجيه والتشكيل والانشاء والتدعيم القومى للامة ؟)

والآن أحب أن أسرد بعض آثار (دولة) على ماهر باشا فى وزارته الأخيرة (الانتقالية) ومازود به البلاد من مشروعات ميزت عهده على سائر العهود بقدر ماذاقت فيه الأمة من معان للحكم (الممتاز) وبقدر ما نشرت آلته فى حياة الأمة

ن فنون التناسق والانسجام كما تبعث آلة الفنان (الممتاز) ألحانها متوافقة متآلفة قوية خالدة . . .

وكما تظل حلاوة الأنغام بعد أرسالها متجاوبة كأنها تسبح في النفس كذلك ستظل آثار « الرجل » و (فنونه) تجتذب المفكرين نحوها إلى ما شاء الله .

ولم تقتصر جهوده وأصلاحاته ومنشآته على وزارة واحدة بل شملت الوزارات جميعاً وتمت في صميمها جميعاً .

ترى أى وزارة لم تحظ بفيض من ابتكار « الرجل » أو تشكيل يلائم تطور الزمن ؟ ! . . تحدثك الصفحات التالية عن آثار تنقضي السنون وتبقى هي حافظة لطابعها الممتاز وجدتها السابقة على الزمن . . .

المباراة الصحفية الأدبية

مارس سنة ٩٣٦

أذاعت رياسة الوزراء البيان التالى :

لما كان من أعز أمانى الوزارة أن ترى فى أقرب فرصة متاحة نهضتنا الصحفية تمضى قدماً لا تلوى على شىء . متجهة نحو الغاية الثقافية التجديدية التى يرومها كل مقدر لأهل هذه الصناعة الشريفة . وأن تساهم من قبلها مع العاملين من رجالاتها . فى مسابقة الأقلام ومباراة أصحاب البيان . وأن تعمل بقدر المستطاع على تمحيص الآراء بين ذوى المواهب والكفايات . وأن تعرض على بساط البحث والدرس الموضوعات الاصلاحية الثقافية العامة فانها ترى لزاماً عليها نحو الصحافة والصحفيين . والكاتبين والباحثين أن تخصص

من ناحيتها جوائز للمجيدين والمحسنين. تنشيطاً للأقلام وإنارة للأفهام وإثارة للحماس العلمى وإنهاضا للبحث الأدبى. وإطلاقا للعنان العقلى وزيادة فى الانتاج الثقافى وتوخياً للاصلاح الاجتماعى.

لذلك يسر الوزارة أن تذيع بين الناطقين بالضاد من كتابنا وأدبائنا أنها قد قررت جوائز تمنح للفائزين فى الموضوعات العشرة الآتية : —

(١) رساله الأزهر فى القرن العشرين

(٢) اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال.

(٣) أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والرسائل العلمية لتوجيهه للخير العام

(٤) البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة

(٥) التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الأمة

(٦) عدة النجاح لرجل القرن العشرين

(٧) تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

(٨) ترقية الفلاح اجتماعياً

(٩) استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

(١٠) وضع نشيد وطنى قومى

وقد تقرر للفائز الأول فى كل من الموضوعات المتقدمه مئة جنيه والفائز الثانى خمسون جنيهاً ولكل من الثالث والرابع خمسة وعشرون جنيهاً

وأعقب ذلك بتأليف لجان التحكيم فى هذه المباراه التى كانت الأولى من نوعها فى مصر

• • •

ومن حكيم ماروعى فى هذه المناسبة أن (دولة) الوزير

أعطى مدة كافيـة لتقديم الموضوعات وأنه لم يحدد حجم ما يكتب وترك مطلق الحرية للـكاتب فيما يبديه من آراء ومقترحات إنما اشترط أن يكون التفضيل للرسالة العمليـة النتائج مع الألمام الصحيح بشتى نواحى الموضوع العمليـة الانتاجية .

ترجمة معانى القرآن الكريم

٢

فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٦ رفع (دولة) على ماهر باشا رئيس الوزراء إلى المجلس مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم مشفوعا بكتابين رفعا إلى (دولته) احدهما من فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر والآخر من سعادة وزير المعارف حينئذ ومع الكتابين مذكرة من (دولته) قال فيها (دولته) ما يفيد أن هذين الكتابين قد رفعا اليه بطلب اقرار المشروع الذى تقتضيه الثقافة الدينية وحاجة المسلمين عند الناطقين بالضاد اللغة التى تفهم ما فى الاسلام من أحكام وقواعد وعبر وعظات

ولخطورة هذا المشروع لا أرى مانعا من تسجيل الخطابات المتداولة بشأنه

١ — كتاب فضيلة الاستاذ الأكبر إلى رئيس مجلس الوزراء : —

. . . .

اشتغل الناس قديما وحديثا بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولكنهم لا يجيدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية الفهم الذى يمكنهم من إداء معانى القرآن على وجه صحيح لذلك وحدث فى التراجم أخطاء كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجد الناس غيرها فاعتمدوا عليها فى فهم أغراض القرآن الكريم وفهم قواعد الشريعة الأسلامية فأصبح لزاما على أمة اسلامية كالأمة المصرية لها المكان الرفيع فى العالم الاسلامى ان تبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء وإلى إظهار معانى القرآن الكريم نقية فى اللغات الحية لدى العالم .

ولهذا العمل أثر بعيد فى نشر هداية الاسلام بين الأمم التى لاتدين بالاسلام ذلك أن أساس الدعوة إلى الدين الاسلامى إنما هو الأدلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم وفى القرآن الكريم من الحجج الباهرة والأدلة الدامغة مايدعو الرجل

المنصف إلى التسليم بالدين والاذعان له

وفائدة أخرى للأمم الاسلامية التى لاتعرف العربية وتشرئب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع فلا تجد أمامها إلا تراجم قد ملئت بالأخطاء فاذا ماقدمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئة لها مكانتها الدينية فى العالم اطمأنت اليها وركنت إلى أنها تعبر عن الوحى الآلهى تعبيرا دقيقا

. . . .

لذلك اقترح أن يقرر مجلس الوزراء ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف وأن يقدر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل — فأرجوا النظر فى هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

شيخ الجامع الأزهر

(إمضاء) محمد مصطفى المراغى

فتوى جماعة كبار العلماء

٣

« بسم الله الرحمن الرحيم »

ماقول السادة حضرات أصحاب الفضيلة العلماء فى السؤال الآتى بعد ملاحظة المقدمات الآتية : —

١ — لا شبهة فى أن القرآن الكريم اسم للنظم العربى الذى نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله . ولاشبهة أيضا فى أنه إذا عبر عن معانى القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربى بأية لغة من اللغات لا تسمى هذه المعانى ولا العبارات التى تؤدى هذه المعانى قرآنا

٢ — ومما لا محل للخلاف فيه أيضا أن الترجمة اللفظية بمعنى نقل المعانى مع خصائص النظم العربى مستحيلة .

٣ — وضع الناس تراجم للقران الكريم بلغات مختلفة

اشتملت على أخطاء كثيرة واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معانى القرآن الكريم :

٤ — وقد دعا هذا التفكير فى نقل معانى القرآن الكريم الى اللغات الأخرى على الوجه الآتى :

يراد أولا — فهم معانى القرآن الكريم بوساطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف بعد الرجوع لآراء أئمة المفسرين وصوغ هذه المعانى بعبارات دقيقة محدودة ثم نقل هذه المعانى التى فهمها العلماء إلى اللغات الأخرى بوساطة رجال موثوق بأمانتهم واقتدارهم فى تلك اللغات بحيث يكون مايفهم فى تلك اللغات من المعانى هو ماتؤديه العبارات العربية التى يضعها العلماء

فهل الاقدام على هذا العمل جائز شرعا أو غير جائز ؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآنا وليس لهـا خصائص القرآن وليست هى ترجمة كل المعانى التى فهمها العلماء وانه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربى للقرآن الكريم .

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد

فقد اطلعنا على جميع ماذكر بالاستفتاء المدون طى هذا ونفيد بأن الاقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلا فى السؤال جائز شرعا والله سبحانه وتعالى أعلم

(إمضاءات)

رأى فضيلة الاستاذ الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم — وجهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء وانى أوافقهم على ما رأوه ... رئيس جماعة كبار العلماء

(إمضاء)

محمد مصطفى المراغى

المجالس العليا

من الأسس القوية التي وضعها (دولة) على ماهر باشا تدعيما لأصول الحكم التي يقوم عليهـا الحـكم الصحيح أنه رأى أن الوزير سواء كان فنيا أو غير فنى فلا غنى له عن الاسترشاد بآراء الفنيين فيما يرى من وسائل الاصلاح .

لذلك عمل على إنشاء مجالس فنية عليا فى بعض الوزارات لتكون هى الهيئات الاستشارية التى يحترم الوزير ماتبديه من آراء وخطط يستمد منهـا حججه بصدد ما يعرض على البرلمان .

وبذلك أعتقد أن على ماهر باشا سد (أو عمل على سد) ثغرة فى البناء التشريعى فى مصر أو أنه عالج مايراه الأخصائيون عيبا لا مبرر لبقائه فى نظامنا البرلمانى أذا قورن (هذا النظام) ببعض النظم البرلمانية الحديثة فى الدول الأوروبية .

ومن المجالس الفنية العليا التى رأى لزومها قبل غيرها المجلس الأعلى للتعليم والمجلس الأعلى للقضاء والمجلس الأعلى للاصلاح الاجتماعى — والى القارىء الكريم المذكرات الخاصة بها :

المجلس الأعلى للتعليم

المذكرة الايضاحية للمشروع

أهم مايلاحظ من الأمور التى تجعل التعليم مضطربا معرضا لكثير من الفساد أمران : الأول أن نظم التعليم على اختلافها تجرى على سنن غير مضطرد فتتأثر بأشخاص الوزراء وكبار الموظفين وميولهم ومذاهبهم أكثر مما تتأثر بمقتضيات الحياة المصرية وحاجاتها وطبيعة العلم والتعليم . فلا يكاد وزير يرقى إلى منصبه حتى يستعرض ما فعله سلفه فيمحو منه

ما يمحو ويثبت منه ما يثبت . يدفعه إلى ذلك استعداده الخاص وآراؤه في التعليم .

وينشأ عن ذلك اضطراب متصل في المناهج والبرامج والنظم كلها وتقتل التجارب قبل أن تؤتي ثمرها وتنتهي الى غايتها وتضطرب الحياة العقلية نفسها اضطرابا شديدا له آثاره البالغة في تكوين عقول النشء ومن المحقق أن من أظهر الآثار لهذا الاضطراب اختلاف الأجيال التي يتبع بعضها بعضا من الشباب في فهم الأمور وتقديرها والحكم عليها باختلاف ما يؤخذون به من مناهج التعليم وأساليبه التي تختلف باختلاف الوزراء .

والأمر الثاني شعور المعلمين على اختلاف طبقاتهم بأنهم موظفون قبل كل شيء يجب أن يذعنوا لما يصدر اليهم من أمر وأن يتجهوا إلى ما يدفعون اليه من وجه سواء أرضوا

أم لم يرضوا وسواء أكان ذلك ملائما لآرائهم فى التعليم أم لم يكن .

واذا كان هناك خطر على تكوين الشباب واشعاره الرجولة واحتمال التبعة وحسن تقدير الأشياء فان هذا الخطر انما يأتى من جعل المعلم أداة للتعليم لا انسانا يعلم انسانا .

واذا كان المعلم يحيا حياة قوامها الاذعان والخضوع وتنفيذ الأمر وهو كاره لهذه الحياة ولهذا الأمر الذى ينفذه فمن الطبيعى أن يكون تلميذا مثله ذليلا فى ظاهر الأمر متمرداً فيما بينه و بين نفسه بعيدا عن أن يصلح عمادا للنظام أو قواماً للحياة المطردة المنتجة .

فالذين يريدون اصلاح التعليم و يبتغون به تكوين جيل أو أجيال من الشباب تتمثل الرجولة وتحتمل الثقة وتقدر النظام وتراه صورة لما ينبغى للانسان الاجتماعى من الكرامة خليقون أن يقيموا هذا الاصلاح على أساس يضمن للتعليم

اضطراده على نسق واضح مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب بریء من الطفرة و بریء من الجمود معا و يضمن للمعلمين هذه الكرامة التى تشعرهم بأنهم رجال يؤدون واجبا خطيرا لا أدوات مسخرة تنقاد لمن يديرها من الرؤساء .

وسبيل هذا هو انشاء المجلس الأعلى للتعليم فهذا المجلس إن أنشىء سيضمن وحدة الاتجاه للتعليم والثقة بالنفس للمعلمين . وليست فكرة انشاء هذا المجلس جديدة مصر بل يرجع عهدها إلى سنة ١٨٨١ إذ صدر أمر عال بانشاء هذا المجلس ثم عدل بأوامر أخرى . وآخر تعديل لتأليفه واختصاصه كان بالقانون رقم ١٣ لسنة ١٩٢٠ المعدل بالقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٢ و بالقانون رقم ٦ لسنة ١٩٢٣ وكان اختصاصه أنه يجب أن يؤخذ رأيه فى جميع اقتراحات وزير المعارف التى تتناول الشروط الأساسية لقبول التلاميذ وخطط الدراسة والامتحانات العامة وامتحانات النقل والعقوبات

التأديبية . وكذلك يؤخذ رأيه فى مشرعات ميزانية وزارة المعارف وفى انشاء دور التدريس وفى مشروعات قوانين التعليم ولوائحه . وفيما عدا ذلك يجوز لوزير المعارف أن يأخذ رأيه فى أى مسألة أخرى .

وكان تشكيل هذا المجلس منسجما مع نظام البلاد فى وقت تشكيله ولذلك كان تعيين جميع الأعضاء بيد الوزير

أما المجلس المقترح فقد أنشىء على نسق مجلس التعليم الأعلى بفرنسا الموجود منذ أكثر من نصف قرن والذى ضمن لتعليمها اطرادا فى الرقى بريئا من العنف وبريئا من الفتور وضمن لمعلميها ثقة بالنفس وشعورا بالكرامة و إيمانا بالواجب .

والمجلس المقترح كالمجلس الفرنسى يقوم على فكرتين الأولى تأتى من تأليفه فهو يؤلف من جماعة يمثلون فروع التعليم كلها تمثيلا حسنا وهو يستشار فى جميع شئون التعليم فلا

يمضى الوزير أمرا من أموره إلا وقد وضح له الرأى فيه وعرف ملاءمته لحاجة المتعلمين وقدرة المعلمين . والثانية تأتى من اختصاصه فهو مشير على الوزير مستقر الضمانات التى تكفل للمعلمين كرامتهم الشخصية والعلمية . فاذا لاحظنا أن كثرة هذا المجلس ينتخبها المعلمون أنفسهم وأن فريقا من أعضائه يختارهم الوزير ويعينون فيه بمرسوم عرفنا أنه يلائم بين طبيعة الديمقراطية التى تكفل الحرية من جهة وطبيعة السلطة التى تكفل الاستقرار من جهة أخرى .

ويتألف المجلس من ٣١ عضوا .

وهذا العدد ليس ضخما بمقارنته بالعدد الذى يتألف منه مجلس التعليم الأعلى بفرنسا وهو يؤلف من ٥٤ عضوا

ويجتمع المجلس مرتين فى العام ويجوز أن يدعوه الوزير اذا احتاج الى ذلك وله لجنة فنية دائمة يتصل بها الوزير وتشير عليه فى كل أمور التعليم وهى تهيىء للمجلس مايعرض عليه حين يجتمع .

والأخذ بالنظام المقترح هو الوسيلة الأولى ان لم يكن الوسيلة الوحيدة إلى الأخذ فى اصلاح التعليم اصلاحا منتجا

واذا كان التعليم العالى فى مصر قد أخذ حظه الموفور من هـذا النظام الذى يضمن له الرقى ولرجاله الكرامة والاستقلال بما صدر من قوانين الجامعة وضم أكثر المدارس العليا اليها فان فروع التعليم الأخرى بعيدة كل البعد عن أن تستمتع بنظام يضمن لها الرقى و يعصمها من الاضطراب ويحفظ على رجاله حقهم فى الطمأنينة والكرامة .

وانشاء مجلس التعليم الأعلى كفيل بهذا كله وهو كفيل بشىء آخر عظيم الخطر هو التوفيق بين الأغراض المختلفة وتوجيهها إلى سياسة واحدة ملائمة لحاجات مصر وذلك من غير شك خير من تركها كما هى يذهب كل منها فى طريقه دون أن يحفل بغيره من فروع التعليم .

. . .

هذه هي المذكرة التي وضعت بخصوص المجلس الأعلى للتعليم في عهد محمد علي علوبه باشا وزير المعارف في الحكم الماهري

وأترك للقارىء أن يمحص الأسس والأغراض التي تسجلها هذه المذكرة ويرى مبلغ ماتأتي به من خيرات ومنافع ونهوض يرفع مستوى الأمة إلى أسمى الدرجات وله أن يقدر مبلغ غيرة « الرجل » على الصالح العام وعزة الوطن وأبنائه ويتصور حماسه في سبيل المجد وكرامة المعلم . وتوطيد دعامات التربية الحقة المطابقة لروح العصر .

مجلس أعلى للقضاء

أنشأ (دولة) ماهر باشا هـذا المجلس لغرض استقلال القضاء وليجعل كل مايتصل بالقضاء صادرا عن وزير (الحقانية) طبقا لرأى المجلس (ولكى يهيئ السبيل كما سيتضح فيما بعد لغرض أسمى هو اعداد العدة لالغاء الامتيازات الأجنبية)

مذكرة ايضاحية

بشأن نظام هيئة القضاء

يرمى المشروع المرفق (بهـذه المذكرة) أولا إلى وضع نظام يكفل حسن اختيار القضاة سواء دخلوا هذا السلك فى أول مناصبه وهو قاض من الدرجة الثانية أم دخلوه فى المناصب التالية . فان كانت الأولى فوسيلة حسن الاختيار هوالامتحان

ولايلج هذا الامتحان طبعا كل من أراد بل يجب أن تتوافر في الطالب شروط زمن وضعت للاستيثاق من اكتساب تجربة صالحة وحصر دخوله فى الطبقات التى يتصل عملها بعلم القانون وترك لوزير الحقانية بعد التحرى والتحقيق أن يحدد الداخلين فيه — وقد جعل للناجحين جدولان أحدهما لوكلاء النيابة والآخر لمن عداهم من الطبقات إذ أريد أن يحتفظ لوكلاء النيابة بالمرتبة التى عليها تقاليد العمل منذ انشاء المحاكم الأهلية بالنصيب الأكبر فى التعيين فى القضاء فلهم الثلثان على الأقل ولغيرهم الثلث . ولذلك سيكون لهم ترتيب مستقل عمن عداهم وجدول خاص . واشترط لاثبات الاسم فى كل من الجدولين الذين يختار منهما القضاة درجة عاليةمن النجاح وجعلت نتائج الامتحان نافعة للسنه التى حصل فيها والسنة التالية

فان لم يصب الناجح حظ التعيين فى أى السنتين أسقط

اسمه من الجدول إلا أن يدخل الامتحان من جديد و ينجح فيه وإذا خلا أى الجدولين قبل حلول ميعاد الامتحان الثانى وأريد التعيين أجرى إمتحان أضافى

واختص الداخلون بطريق الامتحان بأن الترقية إلى وظائف القضاء العليا تصبح منحصرة فيهم إلاقليلا — فإن لهم على الأقل ثلاث وظائف من أربع فى المحاكم الابتدائية والاستئنافية . وترك لوزير الحقانية أن يختار واحدا من أربع من الطبقات الأخرى التى بينها القانون للتعيين مباشرة وربهم الشروط المطلوبة فيها .

وجعل ضمان حسن الاختيار سواء فيمن يرقى من المناصب الكبيرة أوفيمن يعين مباشرة بنسبة الربع وعرض أمر الترقية والتعيين على المجلس الأعلى للقضاء فاذا رأى الوزير رأيا مخالفا له وجب أن يدلى بالأسباب التى حملته على المخالفة فى تقرير خاص يرفعه إلى مجلس الوزراء وقد أريد بذلك

التنويه بالمكانة والكرامة التي يجب أن تكون لرأى المجلس الأعلى للقضاء

كذلك أوجب القانون أن يعرض على المجلس الأعلى على هذا الوجه أيضا انتدابات المستشارين وتنقلات القضاة من محاكم ابتدائية إلى محاكم أخرى وانتدابهم إذا تجاوزت مدة الانتداب ثلاثة أشهر

وأخيرا يجب أن يعرض على المجلس الأعلى نقل رؤساء النيابة ووكلاء الدرجة الأولى إلى القضاء وهم لايطالبون طبعا باجتياز الامتحان شأنهم فى ذلك شأن من يعين مباشرة فى القضاء (من الطبقات التى ورد ذكرها فى المادة التاسعة)*

وقد نص القانون صراحة على أن العبرة فى الترقى الجدارة ولم يجعل للاقدمية أثر إلا فى التفضيل بين اثنين تساويا فى الجدارة . ومراعاة الجدارة يجب أن تكون دستور العمل فيما يتعلق بأختيار القضاة سواء فى ذلك أن يكون

---

* سيأتى ذكر المادة ٩ فيما بعد

الاختيار بطريق الترقية أم بطريق التعيين المباشر بل يجب أن يكون رائد وزارة الحقانية والمجلس الأعلى دائما المبالغة فى تحرى الجدارة بل التفوق والامتياز فيمن يختار للجلوس فى مجلس القضاء .

كذلك عرض القانون لطريقة التعيين بمحكمة النقض والابرام فقضى بأن يكون المعين أحد ثلاثة يرشحهم لذلك وزير الحقانية ويكون اختيار من يقع عليه التعيين للجمعية العمومية لمحكمة النقض — وروعى فى اتخاذ هذه الطريقة الخاصة أنها تكفل على أحسن وجه اختيار القاضى الذى عرف عنه سعة التحصيل فى علوم القانون ودقة البحث وقوة استنباط الأحكام — فوزير الحقانية يختار ثلاثة ممن اجتمعت لهم هذه الصفات — ومستشارو محكمة النقض يحددون من يرون بحكم اتصالهم بعمله أو بغير ذلك من وسائل التقدير خير الثلاثة للجلوس بينهم

ويرمى القانون من جانب آخر إلى تحقيق استقلال القضاة عدا الذين كفلت لهم القوانين الحالية عدم القابلية للعزل وهم رؤساء المحاكم الابتدائية ووكلاءها وقضاتها وقد اشترط لذلك موافقة المجلس الأعلى للقضاء قبل فصل أحد من هؤلاء بقرار من مجلس الوزراء

وقد دعا النظر فى المسائل التى تكفل حسن الاختيار القضاة إلى النظر فى طريقة اختبار مساعدى النيابة فرئى أن تبسط عليهم أيضا طريقة الامتحان

ولذلك يجب تعديل المادة ٦٩ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية

وقد وضع للاغراض المتقدمة مشروعان أتشرف بعرضهما على مجلس الوزراء التفضل إذا وافق عليهما بعرضهما على السدة الملكية لاستصدار مرسومين بقانونين بهما

المجلس الأعلى للأصلاح الاجتماعى

المذكرة التى رفعت الى مجلس الوزراء

«تجتاز البلاد فى ثقافتها ومدنيتها القديمة أى فيما يتعلق بأخلاقها وعاداتها وتقاليدها ونظمها وصور الحياة فيها ومثلها العليا دورا انتقال تلتقى فيه التيارات المختلفة والنزعات المتعارضة آتية من جانب الثقافة والمدنية الحديثة بفضل سهولة المواصلات وسرعتها وكثرة تداول المطبوعات وما استحدثه الاختراع والتقدم فى أسباب الحياة

ولو ترك هذا الدور لمجرد التفاعل الطبيعى بين ثقافتين ومدنيتين اختلفت أصولهما وتباينت أركانهما لاختلط الأمر وفسد فان انطباع الناس على التقليد والأخذ بكل جديد يوشك أن يذهب بالتناسق والتماسك الواجبين فى موازين الحكم وضوابط التصرف فى الشئون الاجتماعية

وقد لا يمكن تجنب مثل ذلك التفاعل ولكن الذى يدخل فى دائرة الامكان هو أن ترصد أحوال هذا التفاعل وآثاره فى تطور البلاد الاجتماعى وألا تترك الأمور تجرى على أعنتها بل يعمل على توجيهها وجهة يخلص منها للبلاد أكبر الخير وتتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكاته وتهيء ما يقدر له من المصائر وتحقق ما يعقده أو يعقد به من الآمال.

ولا سبيل لذلك إلا أن تكون للبلاد سياسة اجتماعية تقوم على الاحتفاظ بأخلاقها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الصالحة والدفاع عنها وعلى التوفيق والملاءمة بينها و بين العادات والآراء والنظم الحسنة وصور الحياة الجديدة التى أتت بها المدنيه الحديثة

ومثل تلك السياسة يجب على الحكومة والهيئات وأهل الرأى أن يساهم كل بنصيبه فى رسم أغراضها و وسائلها —

والواقع أن البلاد لم يخطئها الأرشاد والتوجيه الصحيح من

أولئك جميعا بين وقت وآخر ، ولكنه ارشاد وتوجيه يعوزه الاستمرار وتنقصه الوحدة والقوة

وربما كان النصيب الأكبر من هذا الواجب يقع على الحكومة ولها من وسائل العمل والتنفيذ مالا يجتمع لغيرها ولكن الحكومات تستغرق هما غالبا شئون الحكم ومشا كل السياسة ولا تدع لها من فراغ الذهن وتهيؤ النفس مايقتضيه الأصلاح الاجتماعى من ترديد النظر و إطالة التفكير فى المسائل الاجتماعية الشائكة الدقيقة . و يخشى فوق ذلك أن اختلاف هيئات الحكم وتعاقبها فيه وتباين وجهات النظر بينها يؤدى إلى أن الاصلاح لا يمضى على وتيرة واحدة وأنه لا يكون موصول التنفيذ بالقدر الذى يبين عن فوائده أو يجلو خطأ الاتجاه فيه .

لذلك كله وجب أن يكون الأصلاح الاجتماعى بمنجاة من أسباب الاضطراب والتذبذب وآية ذلك أن يقوم على هذه

الشئون مجلس ثابت يؤلف من أهل الرأى ويجمع المناحى والنزعات المختلفة ويختص بمراقبة أحوال التطور و بالنظر فى الوسائل والتدابير والأصلاحات التى توجهه توجيها صحيحا و بالتوفيق بين القديم والجديد .

ومن الخير أن يضع ذلك المجلس أسسا سياسية اجتماعية تتناول شئون الأسرة والتعليم ومرافق الحياة المختلفة على أنه إذا كان من التعجل وضع تلك السياسة مرة واحدة فان من الواجب ألا تعالج الحكومة بقانون أو لائحة أى شأن من الشئون الاجتماعية أو التى يكون لها أثر فى الأحوال الاجتماعية بالبلاد دون أن تستأنس برأى المجلس المذكور :

وقد لا تخلو مراعاة هذا الواجب من صعوبة بسبب اختلاف الرأى والتقدير فى صفة القوانين أو مراميها أو آثارها فيصدر القانون أو اللائحة دون أخذ رأى المجلس المذكور فيما يجب إبداء رأيه بشأنه لتستطيع الحكومة

إذا اقتضى الحال اتقاء الضرر أو تدارك الخطر قبل فوات الأوان .

على أن هذا الاختصاص الاستشارى لا يوجب العمل الأنشائى ويجب أن يعالج المجلس من تلقاء نفسه دراسة الأحوال الاجتماعية وإجراء كل بحث أو تحقيق يقتضيه العمل على تقدم البلاد من هذه الناحية .

فأذا انتهى به ذلك إلى رأى فى الاصلاح أشار به أو اقترحه على الحكومة لتنفيذه بالوسائل المناسبة وقد يقتضى ذلك إصدار قانون كما قد يكفى فيه أتخاذ تدابير إدارية .

وإن ما يجب مراعاته فى اختيار أعضاء المجلس من صدق الرأى ونافذ النظر ومبسوط العلم وواسع التجربة فى الشئون الاجتماعية كفيل بأن يجعل للمجلس مكانة فى البلاد تجعل لنداءاته ونصائحه أثراً حسناً . وقد تحتاج الحكومة إلى الاستعانة به فى هذا السبيل أو فى تنظيم دعايات اجتماعية

لأخذ الناس بعادة صالحة أو حملهم على الاقلاع عن عادة ضارة .

فاذا أقر مجلس الوزراء الاعتبارات المتقدمة تفضل بالموافقة على مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة .

رئيس مجلس الوزراء

على ماهر

(أما المرسوم بقانون بانشاء المجلس فقد اشتمل على ٩ مواد)

ترتيب

الحقيقة أن الكاتب أو المحقق الذى يحاول حصر جهود « على ماهر » فى وزارته يجد صعوبه فى ترتيب المشروعات التى أراد بها (دولته) شمول الأصلاح كافة النواحى فى الأداة الحكومية وهو أزاء هذه الأعمال البنائية المتعددة قد يكون محقا إذا قال لنفسه « لا أستطيع أن أفضل مشروعا يصحح قواعد الحياة الاجتماعية مثلا على مشروع يضع الحياة التعليمية فى أصلح وضع يشحذ روح القومية . فكلاهما مشروع عظيم جليل » :

وإذاً فلنسجل هذه المشروعات بلا قيد ولا شرط إلا أن نتحرى الحقائق كما هى وليكن فى تواريخها ما يعتمد عليه الباحث عن الترتيب الزمنى . إذا كان هذا يختلف بعض

الشيء عن طريقتنا التى نسلكها وهى حصر الجهود التى بذلها ماهر باشا فى كل ناحية على حدة بصرف النظر عن مراعاة الترتيب الزمنى عند صدورها . حيث أنى أرى فى هذه المشروعات العامة ما لا يحتم تقيدها بالنسبة لبعضها لاسيما إذا كنا فى أمس الحاجة إليها اليوم أكثر منها بالأمس :

داخلية

لا مركزية — لا حزبية

إن إرضاء رؤسائكم ياحضرات المديرين والمحافظين لايتأتى ألا عن قيامكم بواجبكم خيرقيام ولاتظنوا أن هناك أمرا آخر غير هذا يفتح أمامكم باب الترقى الحكومى أو يكسبكم التقدير الصحيح بل كلما عملتم فى خدمة البلاد الخدمة المنزهة كلما كسبتم رضاء الرؤساء وشكر الأمة فضعوا نصب أعينكم هذه المبادئ واعملوا على تحقيقها ولاتخشوا فى ذلك شيئا »

« . . . علينا أن نعمل كثيرا لتدعيم استقلالنا وكل منا يجب عليه أن لاينى لحظة واحدة عن بذل مايستطيعه ضمن نطاق المسؤولية التى اتخذها على عاتقه . ففى وسع حضراتكم أن تعملوا كثيرا وتكون أعمالكم نافعة لاستكمال صرح الاستقلال . . . من الراهن الاكيد أن خير طريقة لمعالجة الأجرام والوصول إلى منعه هى منع وقوعه»

على ماهر

(من خطاب (دولته) فى المديرين والمحافظين)

قد يصح أن أطلق على مجموع جهود ماهر باشا فى وزارة الداخلية بأنه أقامها على قاعدة جديدة هى القضاء على المركزية بأعطاء المديرين (والمحافظين) أكبر قسط من المسئولية على

أن يحاط ذلك بخير ضمان للرقابة الفعلية على سلطة حكام الأقاليم بأنشاء منصبين لمفتشى عموم للوجهين البحرى والقبلى

وقد دعا (دولة) ماهر باشا حينذاك المديرين والمحافظين إلى اجتماع التى فيه خطابا خالدا ضمنه أقوى وألزم الأسس التى يقيم عليها المدير حكمه بما يضمن الامن العام ويوطد دعائمه ويقيم حدود القانون

وقد عمل (دولته) على إصلاح مدرسة البوليس والادارة بمـا يكفل رفع مستوى رجال البوليس كما عمل على ابقاء مدرسة (الـكونستبلات) — التى فُـكر فى ألغائها من قبل — وغرضه من ذلك أن يحل خريجوها محل رجال البوليس تدريجيا وبذلك تتحقق للوطن دعامة صالحة من الأدارة القوية الصالحة

هـذا ويدعونى ما أجراه (دولة) ماهر باشا بالنسبة لنظم وزارة الداخلية إلى شىء من التفكير يقنعنى بأن ما كان يرمى إليه دولته من التغيير هو أن تتركز الادارة فى الأقاليم

بحيث يستطيع المدير أن يتصرف ولايقف مكتوف اليدين
إزاء مسائل تستدعى سرعة البت مع حسن التصرف

وإذاً تتبسط الأجراءات ويتوفر كثير من الوقت
فلاتعد حاجة شديدة تدعو الأهالى للانتقال إلى (الديوان)
العام سعيا فى أغراض يستطيع المدير حلها ونهوها فى أقليمه

ولا معدى لنا هنا من الاعتراف مرة أخرى بطابع
ماهر باشا الذى يسم به أعماله جميعا إلاوهو السرعة والاتقان
فى حدود السرعة !

صحافة

« اننا جميعا حكومة وصحافة نوابا وشعبا حاكمين ومحكومين أبناء أسرة واحدة لنكمل بعضنا بعضا — وتكاد تكون مأموريتنا الانشائية واحدة »

« كم تحتاج شتى مقومات استقلالنا بل كم تتطلب أداتنا الحكومية ومجالسنا النيابية إلى صوت الصحافة الرشيدة لبدعم حقا ويثبر أفقا ويصلح أمرا »؟

علي ماهر

قد استعرضنا فى شىء من الاجمال آثار « الرجل » فى وزارة الداخلية فأجدر بنا أن نضم الى ذلك أثرا آخر له أوثق الصلات بحياتنا القوميه وأعنى به مشروع جمعية الصحافة فالحق أنه أول تأسيس أقام آمال الصحفيين بما تضمنه قانون الجمعية من تنظيم للصحافة وأدارتها وتحديد أغراضها وهو أول

جهد أقال عثرة الصحافة و رفع رأسهـا أعلى ما تـكون

وقد بدأ (دولة) على ماهر باشا حينذاك بالفعل تنفيذ بعض مادعا إليه فافتتح موسم ألقاء المحاضرات الصحفية حيث ألقى خطابه الـكريم فى هيئة من رجال الصحافة وذوى الاعتيار فى الأمة .

والواقع أن الصحافة و رجالها وجدت فى الحـكم الماهرى كل خير وكل معاونة من الحـكومة لها على الخير العام حيث بلغ امتياز رجالها درجة لم تخطر ببالهم من قبل فقد أحاطهم هذا العهد بديمقراطية صريحة كريمة لا عهد للمصريين بها

هذا لأن ماهر باشا أول من يعتقد بأن «الصحافة الرشيدة برلمان حر يصور المطالب الأهلية العامة» وينشر مايجيش فى صدور المصلحين المفـكرين والباحثين الجريئين من آراء ومقترحات وانتقادات وتوجيهات .

فى هذا الصدد يجدر بالقارىء أن يضم الى هذه الجهود ما سبق أن أشرت اليه عن المباريات الأدبية لحملة الأقلام ورجال الصحافة ليضع فى ذهنه صورة ولو مصغرة لملغ ما عمل «على ماهر» لترقى الرأى العام المصرى وأخذه بأصلح السبل إلى أرفع الغايات .

قال (دولته) فيما قال لرجال الصحافة :

« لست أشك أنكم ترون معى أن الوطن فى أمس الحاجة إلى تكاتف المصلحين تكاتفا أنتاجيا فى تضحية ونكران ذات — فى عدم تغال وانتقاص رأى . وفى أفساح مجال لأصحاب المواهب والكفايات للأدلاء بما يريدون وما يؤمنون »

صحة

نصيب الفلاح

جادت قريحة ماهر باشا بالنسبة لوزارة الصحة أن أنشأها على أساس جديد أستطيع أن أقول عنه أن نواته لَمّ الجهود المبذولة لأغراض مرتبطة بتوحيد إدارات الأعمال المؤدية إلى غايات مشتبكة الوسائل.

وهذه فى الواقع سياسة محمودة يحس بلزومها كل ناقد يلمس عيوب توزيع الأعمال فى مصالحنا ووزارتنا فكثيرا مايروعه كثرة المنشآت ذات الأغراض الواحدة والأسماء المختلفة !

فى هذا المجال أنشأ (دولة) ماهر باشا قسمين رئيسيين هما قسم الشئون الطبية لغرض العمل على مكافحة الأوبئه وبث وسائل الوقاية وحفظ الصحة العامة. وقسم المرافق العامة

ليشمل مصلحتى التنظيم والمجارى و إدارة البلديات والغرض منه رعاية الشئون القروية .

كذلك لا ننسى أن ماهر باشا هو أول من أسـند وظيفة مفتش صحة القاهرة إلى مصرى !

وبهذه المناسبة أعتقد أنه لم يأت بعد الوزير الذى له حماس ماهر باشا بسبيل الفلاح المصرى وصحة الفلاح المصرى والعمل على أنقاذ الفلاح المصرى والمنتج المصرى بمثل الوسائل العمليه التى ضمنها سياسته الأيجابية التى رسم خططها لما كان وزيرا للمالية ونفذ بعضها حينذاك وكان بسبيل تنفيذ باقيها فى وزارته الأخيرة .

عدل

مساواة : تقنين

إذا قيل إن إلغاء الامتيازات منوط بالحكومة المركزية لما تبذله من مساعى ديبلوماتيكية وسياسية فانه يقال أيضاً ان الهيئتين القضائية والأدارية كفيلتان بأن تجعلا هذا الالغاء أوفى وأتم بما تبديانه من حكمة وسداد رأى وحسن تصرف فى هذا الصدد »

من خطاب (دولته) فى المديرين والمحافظين . . .

« علم القانون خطا خطى واسعة فى البلاد الاوروبية وقد ذاع لبعض تلك التقنينات الحديثة صيت بعيد وأصبحت مثلا يحتذى ومنهاجا يتبع

على ماهر

قبل أن أسجل هنا جهود (دولة) ماهر باشا فى «وزارة الحقانية» أعود بالقارىء إلى عهد (معالى) ماهر باشا لما كان وزيرا للحقانية سنة ١٩٢٣ حين كان يضع (معاليه) قانونا للاحوال الشخصية يتعلق بغير المسلمين تمهيداً لالغاء الامتيازات:

هذا الغرض الأسمى الذى شغل تفكير المصريين فباتوا يئنون من الامتيازات وأثقالها ومضارها و يتحرقون شوقا لألغائها

فبطبيعة الحال أن (دولته) فى وزارته بدأ بأن تابع ما كان وضعه (معاليه) تمهيدا لهذا الغرض الأسمى فأصدر أول شىء قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين

وكذلك مهد (دولته) لالغاء الامتيازات باجراء آخر هو العمل على تعديل القوانين المصرية ووضع تقنين حديث يشمل جميع فروع القوانين من مدنية وتجارية و بحرية وقوانين المرافعات و... و بعبارة أخرى أراد وضع دستور جديد فى شئون القانون جميعها وقد لفت نظر المتابعين لخطته أنه حدد الأجل لأعمال اللجان — وقد كون (دولته) لهذا الغرض هيئة من لجنتين من رجال القانون دعاهم وخطب فيهم الخطاب التالى :

سادتى :

لقد رغبت فى أن يكون أول اجتماع للجنتين المؤلفتين لتعديل القوانين مرسوما بطابع المودة خاليا من المظاهر ولذلك لم يكن اجتماعنا على مائدة خضراء بل حول مائدة بيضاء وأمام كل منا فنجان الشاى بدلا من أدوات الكتابة

ولا أريد أن أوثر على جو هذا الاجتماع الخاص بالقاء خطاب فى موضوع ما ستقوم به اللجنتان وأكتفى بالترحيب بحضراتكم . جميعا وتقديم نسخة من خطابى لكل منكم مع الأعراب لكم عن ثابت يقينى بأنكم ستقومون على أكمل وجه بالمهمة الدقيقة التى عهد بها اليكم والتى أرجو أن يكون لمصر من ورائها أحسن النتائج

(أما نص نسخة الخطاب فقد سجلته فيما بعد)

هذه خلاصة جهود « على ماهر » فى وزارة (الحقانية) بالأضافة إلى ما سبق ذكره بخصوص المجلس الأعلى للقضاء الذى أراد به القضاء على الامتيازات

١٧ مارس سنة ١٩٣٦ .

خطاب

(دولة) ماهر باشا فى اعضاء لجنتى تعديل القوانين

يسرنى كل السرور أن أرحب بكم فى هذا الاجتماع الخاص الذى لم أرده اجتماعا ذا مهابة رسمية بل أردته اجتماعا وديا تفيض عليه الزمالة وتسقط فيه الكلفة . وانى اذ أهنئكم بالثقة التى وضعتها فيكم الحكومة لتقوموا بمهمة شاقة دقيقة جليله الخطر كبيرة الأثر فى الحياة المصرية العامة لا يسعنى ألا أن أذكر أن الفضل فى اختياركم لرياسة اللجنتين وعضويتهما كل الفضل يرجع إلى مكانتكم فى علم القانون و إلى المأثور عن علمكم وعملكم . وأنى لمغتبط كل الاغتباط بما لقيه هذا الاختيار من الحمد والرضى فى كل أوساط المشتغلين بالقانون واذا أشرت إلى أن البلاد تعلق آمالا عظيمة على نجاحكم

ن القيام بالمهمة التى وكلت إليكم فانما لأعلن ثقتى بأنكم —
تكونون عند حسن ظنها بكم .

أما المهمة التى نيطت بكم فلا أبالغ اذا وصفتها بأنها وضع
دستور البلاد فى شئون القانون والواقع أن مجاميع القوانين التى
ستتولون وضعها هى المرجع الأول للمحاكم فيما تقوم عليه من
أداء القضاء بين الناس أو فى الاقتصاص من الخارجين على
على القوانين . واذا كان الشارع لا ينقطع ولا يجوز أن ينقطع
يوما عن أن يعرض لكل تطورات الحياة وأحداثها ولأعمال
الانسان فى مختلف صورها وأشكالها بالضبط والتنظيم والتوجيه
الصحيح فأن النجاح والتوفيق فى كل مايباشره فى هذا الشأن
مرهون بنوع الأساس الذى يختاره للتقنين وهو الذى ستعالجونه
ن لجنتكم .

ومثل المهمة التى ألقيت اليكم مقاليدها لا تعرض فى كل

حين وقد عرفت مصر أول عمل فى هذا الباب سنة ١٨٧٣ عند البحث فى إنشاء المحاكم المختلطة وثنى هذا العمل بمثله عند إنشاء المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٢ وفيما عدا وضع قانون عقوبات وقانون تحقيق جنايات جديدين للمحاكم الأهلية فى سنة ١٩٠٤ وتعديلات قضت بها الحاجة بين حين وآخر ظل التقنين Codes كما صيغ منذ أكثر من ستين عاماً

وظلت الأسس التى رسمت منذ ذلك الحين قائمة دون كبير تحوير أو تعديل .

على أن التفكير الصرف أكثر من مرة إلى معالجة التقنين من جديد ولكن الشارع لم يخرج هذا التفكير إلى حيز العمل إلا بالنسبة لقانون العقوبات وتحقيق الجنايات كما ذكرت وبقيت محاولات أخرى فى دور التصوير والوضع دون أن تبلغ دور التنفيذ .

وأخص بالذكر من هذه المحاولات ما تعلق بقانون

المرافعات فقد تداولته لجان متعددة منذ سنة ١٩١٤ واشتغلت بوضع مشروع أخير له منذ أربع سنين لجنة كادت تفرغ من من عملها . وما تعلق بقانون العقوبات فقـد تولت وضع مشروع له لجنة في ظل لجنة إلغاء الامتيازات التي شكلت أثناء الحرب . و بقانون تحقيق الجنايات فقد عالجت منذ سنة ١٩٢٧ لجنة وضع مشروع له . و بقانون التجارة البحرى فانه تشتغل به لجنه تشارك كذلك فى النظر فى المعاهدات الدولية فى شؤون التجارة البحرية التى تبحث الحـكومة فى الانضمام إليها

ولا يسعنى حين أذكر هـذه المحاولات إلا أن أوجه خالص شكر الحـكومة لـكل من كان له اشتراك فى اللجان التى أشرت إليها أو ضلع فيها بالتحضير أو المعاونة فيها وألا أن أعلن أن الحـكومة تقدر جهودهم حق قدرها وتثق بأن اللجنتين اللتين باشرت تأليفهما تشاركانها فى هذا التقدير

وأنهما ستجعلان لأعمال من تقدموهم أكبر نصيب وأجل خطر من عنايتهم واهتمامهم .

على أنه كان على الحكومة أن تنظر فى خطة العمل الواجبة الاتباع لتختار إحدى طريقتين طريقة العمل المجزأ التى أخذ بها حتى الآن أو طريقة العمل المنظم الموحد . ولم يكن للحكومة إذا اعتبرت بنتائج التجارب الماضية أن تتشكك أو أن تتردد فان الطريقة الأولى قاصرة المدى بطيئة الثمر فهى لم تشمل كل فروع القانون إذ كانت الحكومة تتوجه بنظرها بوحى الظروف إلى إصلاح بعض فروع القانون دون البعض الآخر .

وما شملته تلك الطريقة لم يتح إنجازه إلا فى زمن طويل لأن من عهد إليه الاضطلاع به كان يتولاه إلى جانب أعماله الأصلية .

لذلك آثرت الحكومه أن تعهد إلى حضراتكم منقسمين

إلى لجنتين بأعـداد مشروعات لفروع القانون جميعها وأن تهيء لـكم وسائل التفرغ لهذا العمل والانقطاع عما سواه لـكى يتيسر لـكم إنجاز مهمتكم فى الوقت المرسوم . ولهذه الطريقة فوق ذلك فضل التأليف والتنسيق بين القوانين المختلفة .

و بين يدى حضراتـكم عدا مواد البناء القيمة من أعمال اللجان التى تقدمتـكم قضاء غزير المادة ذائع الشهرة عرف بالاحكام ودقة الاستنباط وسداد التقدير ومطولات و بحوث قام بها أفاضل من رجال القانون محّصوا فيها كثيراً من عيوب التقنين الحالى وأرشـدوا إلى مواطن الضعف منه وتقدموا بالاقتراحات

وإلى جانب هذا وذاك خطا التقنين الصادر عن رأى ناضج وعلم واسع

وعلم القانون خطا خطى واسعة فى البلاد الأور بية وقد

ذاع لبعض تلك التقنينات الحديثة صيت بعيد وأصبحت مثلا يحتـذى ومنهاجاً يتبع.

وما كان للحكومة أن ترسم لحضراتكم طرائق العمل أو وجوه الانتفاع بالمواد التي تضعها بين أيديكم أو التي يوفرها لكم البحث والاستقصاء على أنه ينبغي أن أحدد الغاية التي توختها الحكومة من إنشاء لجنتيكم الموقرتين .

ليس شيء من أحوال هذا البلد وحاجاته ونظمه وصور الحياة المختلفة فيه يخاف على أحد من حضراتكم وكلكم عالم بطباع أهله ومشاعره وحالاته النفسية كما تعرفون حق المعرفة تقنين البلاد الذي وجه إليكم إصلاحه

فبهذا العلم وبهذه المعرفة وعلى هدى ما كشفت عنه التجارب ويفضي اليه البحث في المشروعات السابقة والتقنينات الأجنبية وبفضل مداولة الرأي بينكم ترجو الحكومة أن تضعوا للبلاد قانونا مدنيا وتجاريا بحرياً وقانون مرافعات مدنية وتجارية تلائم أحوالها وأحوال ساكنيها وتقضي حاجاتها وحاجاتهم

وتدل على ما بلغته من الحضارة والتقدم وتتمشى مع ما وصل إليه التقنين وعلم القانون فى البلاد الأوروبية وتـكفل فوق ذلك قضاء سريعاً ناجزاً قليـل النفقة محكم الاجراءات بحيث تمنع أسباب المماطلة وتردع المشاكسين مما تقيمه دونهم من الحوائل وتفرض عليهم من الجزاء والتعويض عن سعيهم فى تأخير صاحب الحق عن حقه .

لذلك نرجو الحكومة أن تراعى التوحيـد فيما تضعه اللجنتان من القوانين فما أظنكم ألا منكرين كما تنكر الحكومة ازدواج القانون واختلافه فى الموضوع الواحد فى البلد الواحد .

ولست بحاجة للاشارة إلى أن الحكومة يسرها أن تقدم لـكم كل التسهيلات التى تطلبونها فى سبيل أداء هـذه المهمة الجليلة .

وأن ما أعرفه فيكم جميعاً من حب العمل والاخلاص فيه والتجرد له والمقدرة على أدائه كفيل بأن نتوقع منكم فى نهاية

الأجل المرسوم عملا صالحا سويا يحمده الشارع المصرى ويرضاه وترجح به كفة مصر إذا ووزنت الأقدار وينبه به اسمها بين الأمصار والأقطار » .

. . .

المادة ٩ (من مشروع نظام هيئة القضاء) التى أشير إليها فى المذكرة التى سجلتها فيما سبق : —

متى توافرت الشروط المدونة فى المادة الأولى (يشترط فيمن يعين قاضياً بالمحاكم الأهلية : ١ — أن تكون سنه ٢٨ سنة فى حالة تعيينه قاضياً بالمحاكم الابتدائية ، ٤٠ سنة فى حالة تعيينه مستشاراً بمحكمة الاستئناف ، ٤٥ فى حالة تعيينه مستشاراً بمحكمة النقض والابرام ٢ — أن يكون حاصلا على على درجة ليسانس من كلية الحقوق أو على شهادة أجنبية تعتبر معادلة لها ٣ — أن لا يكون حكم عليه من المحاكم أو مجالس التأديب بحكم مخل بالشرف وأن يكون محمود السيرة)

جاز أن يعين بمحاكم الاستئناف والمحاكم الابتدائية في وظيفة من أربع على الأكثر .

(ا) لوظيفة رئيس أو وكيل محكمة ابتدائية أو قاض من الدرجة الأولى :

الموظفين بأقلام قضايا الحكومة ومن كان فى حكمهم من الموظفين طبقاً لنص المادة الثالثة الذين قضوا فى الخدمة مدة اثنى عشرة سنة على الأقل .

من قضى هذه المدة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الحقوق .

المحامون المقيدون بجدول المحامين أمام محكمة الاستئناف منذ عشر سنوات على الأقل .

(ب) لوظيفة مستشار بمحكمة الاستئناف :

المستشارون الملكيون المساعدون وأساتذة كلية الحقوق .

نواب أقلام قضايا الحكومة ومن فى حكمهم الذين

قضوا فى الخدمة مدة ست عشرة سنة على الأقل .

المحامون المقيـدون فى جدول المحامين المقبولين أمام محكمة الاستئناف منذ أربع عشرة سنة على الأقل .

ويجوز أن يعين فى أى الوظائف المتقدم ذكرها أيضاً قضاة المحاكم المختلطة وقضاة المحاكم الأهليـة والمختلطة السابقون .

ماليــــة

قلنا أنه ما من ناحية إلا وشملها أصلاح « على ماهر » وتدعيمه وقوة ابتكاره — والحقيقة التى يستخلصها من يدرس آثار الرجل فى شتى النواحى أو الغاية التى كان يرمى اليهـا هى وضع البلاد فى حالة تؤهلها للاستقلال الصحيح أو الوصول بها بطريق مباشر أو غير مباشر إلى استقلال « واقع » تتوفر شروطه « العملية » من الوجهة الداخلية فهو لم يقتصر فى طريقته على تدعيم الأسس التشريعية أو النظم الادارية كما رأينا فيما كان يرمى إليه من إلغاء الامتيازات الأجنبية بل أنه عمل على استيفاء كافة الشروط الداخلية للاستقلال الصحيح بخطوة جريئة أخرى هى العمل على الغاء الامتيازات المالية للأجانب ووضع نظام للضرائب على نحو ما جرى فى تركيـا عند إلغائها الامتيازات الأجنبية

وأنما لم تنفذ خطته بالنسبة للظروف الوطنية وماطرأ حينئذ مما سبق ذكره

هذا شيء أجمل شيء من آثاره فى وزارة المالية

خارجية

أما عن آثاره وأعماله بالنسبة لوزارة الخارجية (التى كان يتولاها إلى جانب وزارة الداخلية ورياسة الوزارة ووزارة الصحة بالنيابة) فيجب ألا ننسى مسألة الحبشة والموقف العظيم المشرف لمصر والمصريين الذى كنا نتحدث عنه يومئذ بأعجاب كل الأعجاب ذلك الموقف الذى وقفه « على ماهر » حيث اتصل بالمفوضية المصرية فى روما وطلب ألى وزير مصر المفوض أن يفيده عن نية ايطاليا نحو مصر حسبما يمكنه الوصول اليه بطريقة (جس النخاض)

وهذا العمل فى حد ذاته يبين كيف يحتفظ «على ماهر»

بالعزة المصرية والشرف الوطنى حيث لم نسمع عن وزير واحد قبله استطاع أن يتصل بدولة أجنبية إلا بعد استشارة الانجليز ومخابرة دار (المندوب) أولا: فما بال القارىء المدقق وهذا أمر يتعلق بصميم السياسة المصريه ؟!

و بعد أن وقف (دولته) على الأمر بنفسه اتصل بعد ذلك بدار (المندوب) وتبادل الرأى معها بخصوص التدبيرات التى اتبعت بعد ذلك بالنسبة للحدود المصرية

وغير هذه المسألة لم يخطر ببال أحد أن رجلا كان يواجه مسائل بلاده الداخلية فى ظروف أشد الظروف شذوذا فى التاريخ (الانتخابات العامة ، اجتماعات الجبهة ، المباحثات المصرية الأنجليزية الأصلاحات الداخليه ...) لم يخطر ببال أحد أن هذا الجبار « يسمح له وقته وتطيق أعصابه وتتحمل صحته أن « يحلو » له أيضاً أن يفكر فى حل مسألة قديمة طال عليها الأمد وفشل فى حلها الوزراء وجميع رؤساء الوزارات قبله : تلك

في مسألة العلاقة بين المملكه المصرية والمملكه العربية

وماذا ينتظر القارىء أن تكون نتيجة عمل يسعى فيه « على ماهر » بعد ماذكرت آنفا عن أعماله ؟ !

.... جرت المفاوضات بين (دولته) و بين وكيل وزارة الخارجية للملكة العربية السعودية

... وفق الله (الرجل) وأبرمت معاهدة صداقة بين المملكتين تقيم التضامن والتعاون والسلام وتيسر عقد اتفاقات جمركية و بريدية وملاحية وغير ذلك من الشؤون التى تهم البلادين وتعيد المياه إلى مجاريها من حيث الحج واقامة الشعائر الاسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين

المعارف ...

ليس غريبا أن نرى من « على ماهر » جديداً طريفاً بالنسبة لشئون التربية والتعليم التى يغرم بها و يجيد الابداع فيها ما شاء له عقله الجبار ووجدانه الحساس وما شاءت له الارادة الفعالة .

وحسبى فى هذا الصدد أن أتحدث عن فتح جديد فى عالم التربية الحديثة شمل مشروعين لم يخطرا ببال مصرى قبله !! أولهما مشروع التربية البدنية والكشف والتجول وقد قدر له مبلغ ١٥٠٠٠٠ جنيه لتأسيس نواد رياضية عامة

والثانى مشروع معهد فاروق

معهد فاروق

أعتقد أنى لا أنصف « الرجل » إذا ترددت عن القول بأنه أول من يرمى إلى جعل بلاده نداً لأى أوروبى لا بالأمانى وانتظار السنين بل باتخاذ سبل عملية ونهج خطة إيجابية مباشرة .

وهذه الروح هى التى تملى على الرجل ثورته للتخلص من العتيق البالى فى حدود من احترام النظم السليمة ولو كانت قديمة ومن مراعاة العوامل القومية والتقاليد الوطنية المعقولة .

فهو أن وصفته بالثائر لا يتضمن وصفى له كذلك أنه من أهل الطفرة أو الشذوذ فى انتهاج طرق الأمم التى سبقتنا فى العصر الحديث ، ولكنه مجدد نابه يرمى إلى الأصلاح الصحيح لا إلى التقليد الأعمى للغير

وإذا كانت طبائع الأشياء تقضى بأن سياسة الاصلاح

والتجديد والترقى تقوم أول ماتقوم على أول دعامات تقوم عليها حياة الأمة حياة صحيحة حرة قوية وهى دعامات التربية والتعليم فأننا لا نستطيع أن نجد بين رجال مصر من وضع دستور هذه السياسة وعمل على تنفيذه سوى رجل واحد هو رجلنا العظيم وأن كنا لا نغمط حقوق الآخرين ولا جهود الوزراء العاملين الذين لهم آثارهم الباقية فى وزارة التربية والتعليم

فرجلنا الذى كان أول من وضع دستور المناهج الحديثة والنظم الحالية فى وزارة المعارف هو أول من أراد خلق نوع جديد من المعاهد من قبيل أيتون وهارد ورجبى يرى أنه من ألزم الأسباب لتقويم الحياة المصرية على أحدث طراز حيث تحظى برجال « يستطيعون أن يحكموا الحكم الصالح الذى ينهض الأمة ويعلى منزلتها »

وإلى القارىء الكريم المذكرة التى تقدم بها (دولته) لمجلس الوزراء حينئذ :

لم تحظ مصر مع كثرة ما أنشىء فيها من معاهد للدراسة الثانوية بذلك النوع من المعاهد الذى يعرف فى انجلترا باسم المدارس العامة Public Schools والذى تعرفه بلاد أخرى كذلك ، وفى هذا النوع من المعاهد تقرن العناية بتدريس منهاج معين من مواد الدراسة بالعناية باعداد التلاميذ من ناحية الخلق وتنمية الشعور بالمسئولية فيهم وبث روح الابتكار فى نفوسهم وتزويدهم بتربية اجتماعية وفنية ورياضية .

وليس من سبيل إلى تحقيق الغرض إلا بانشاء معهد يقوم على أن التلاميذ يجعلون فى معيشة مشتركة وفى اتصال وثيق بأساتذتهم طوال مدة الدراسة وقد جرى العرف فى أمثال تلك المعاهد على أن يترك للتلاميذ فى حياتهم الداخلية قسط من الحرية يدربون على استعماله فى قصد و بلا اسراف ويتبع فيها عادة نظام العرفاء . وفى هذا النظام يفرض على الأقدمين

من التلاميذ مساعدة المستجدين فى كل ما يمس الحياة اليومية بالمعهد ويولون سلطة عليهم كما يضطلعون بقدر من المسئولية عن حفظ النظام فيما يتعلق بهم . كل هذا فى ظل مراقبة رفيقة مستمرة من الأساتذة المقيمين لغرض تقويم ما فى التلاميذ من عيوب خلق و إصلاح ما بينهم من نزعات فاسدة .

ولما كانت الحكومة المصرية شديدة العناية دائما بكل ما يتصل بالتعليم و بتكوين الشبيبة فقد رأت لزاما عليها أن تقوم بتجربة فى هذا السبيل و بأن تنشىء معهدا تجرى فى نظامه على أسس تختلف عن الأسس المتبعة فى معاهد التعليم الثانوى .

من أجل ذلك يجب أن يكون المعهد الجديد ذا كيان خاص وأن يستقل عن وزارة المعارف العمومية وأن يمنح لذلك الصفة المعنوية .

و يعهد فى توجيه الدراسة فيه وفى إدارته ومباشرة شؤونه

المالية إلى مجلس إدارة واسع الاختصاص يمثل الحكومة فيه رئيس مجلس الوزراء ووزير المعارف ووزير المالية كما يمثل الجامعة فيه مديرها واثنان من عمدائها . ويضم إلى هذا المجلس خمسة أعضاء من الشخصيات البارزة يعينون بمرسوم لمدة خمس سنوات لكى يؤمن الاستقرار فى آراء المجلس وخططه . ويتولى المجلس تقرير المناهج وتحديد عدد التلاميذ ووضع الشروط الخاصة بمسابقات الدخول بالمدرسة والامتحانات ومنح المكافآت الدراسية وبالجملة يكون المجلس هو السلطة التشريعية للمعهد وهو الذى يضع ما دون ذلك من اللوائح وهو الذى يعين الموظفين ويفصلهم وذلك بناء على ما يطلبه مدير المعهد .

ويكون مدير المعهد كذلك عضوا فى المجلس إذ هو روح المعهد وعلى ما يكون له من صفات المربى والمدير يتوقف نجاح المعهد إلى حد كبير . لذلك ينبغى أن يمنح سلطة تامة فى إدارة المعهد .

ويكون التعليم فى هذا المعهد فى مستوى التعليم فى المدارس الثانوية وتقسم الدراسة فيه على ست سنوات منها سنة إعدادية . ويمتاز المعهد بالعناية الخاصة بتدريس اللغات العربية والانجليزية والفرنسية ويجوز تدريس بعض المواد فيه بلغة أجنبية .

ويكون الالتحاق بهذا المعهد بعد امتحان مسابقة يقصد منه التثبت من أن للتلاميذ المتقدمين من الذكاء والاستعداد ما يمكنهم من الاستفادة من نوع الدراسة المتبعة فى هذا المعهد

وإلى مثل ذلك يرمى الامتحان فى نهاية السنة الأعدادية لكى يستبعد من المعهد كل من تعوزه الصفات التى تؤهل لما يختص به من تعليم ونظام — ويراعى التشدد فى اختيار التلاميذ حتى أنه لا يسمح عادة لأحد منهم بأعادة سنة دراسية ولا يقبل من التلاميذ غير عدد معين يوزع على فصول يحوى كل منها عدداً قليلا يكون عادة متجانساً متقاربا فى مستواه

ولا شك فى أن صغر عدد التلاميذ يسهل الاتصال الشخصى بينهم و بين أساتذتهم وأن قلة ما بينهم من الفوارق ييسر لهؤلاء الأساتذة مهمة تخصيص كل تلميذ بما يناسبه من أسباب التعليم والتربية — ومثل هذا التشدد يبرز الميزة التى يخص بها التلاميذ الذين يتمون دراستهم فى هذا المعهد بنجاح من أنهم يستطيعون الالتحاق بالجامعة مباشرة و بدون أن يشترط فيهم الحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، ولذلك يحتفظ مجلس الجامعة لهم جميعاً بمحلات فى مختلف الكليات طبقاً لما تشير به إدارة المعهد .

أما ما يختص بالناحية المالية فانه إذا كان هذا المعهد يجب بعد زمن من إنشائه أن يعتمد فى إدارة شئونه على على موارده الخاصة فان إنشاءه وتهيئته للعمل يتطلبان نفقات لا يستهان بها و يجب أن تأخذها الحكومة على عاتقها ولذلك يجب أن تتولى الحكومة تقديم البناء والمهمات المدرسية

اللازمة وسد العجز الذى ينشأ عن إدارة العشر السنوات الأولى ، كما تتحمل معاشات الموظفين الدائمين فى مقابل استيلائها على الاحتياطى .

والأمل معقود بأن المعهد يستطيع بما يحصل عليه من المصاريف المدرسية والنفقات الاضافية وبما يمنحه من هبات أن يجعل ميزانيته تكفى نفسها بنفسها — ويستلزم ذلك أن تكون المصاريف المدرسية مرتفعة — على أن حرص الحكومة المصرية على أن مزايا هذا النوع من التعليم لا يجوز أن تنحصر فى فئة الأغنياء من الشبيبة المصرية دون غيرها يجعلها تمنح على الدوام المعهد مبلغا سنوياً يوازى المصاريف المدرسية والنفقات الاضافية عن ربع التلاميذ المقبولين وبذلك يتسنى لمجلس الادارة أن يكافىء التلاميذ من غير القادرين بأعفائهم من كل المصاريف والنفقات المدرسية

أو بعضها بشرط أن يوثق بخلقهم وأن يدلوا على استعداد طبيعي كبير وذكاء حسن .

فاذا رأى مجلس الوزراء قبول الاعتبارات المتقدمة تفضل بالموافقة على مشروع المرسوم بقانون المرفق بهذه المذكرة تمهيداً لرفعه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك للتصديق عليه » .

رئيس مجلس الوزراء

على ماهر

الاجتماع الأول

لمجلس إدارة معهد فاروق

هـذا وقد اجتمع مجلس إدارة معهد فاروق برياسة (صاحب الدولة) على ماهر باشا ودار البحث حول إعداد تنظيم المعهد — وقد أذيعت خلاصة ما دار فى هذه الجلسة (الأولى) من المناقشات وهى .

استهل (دولة) الرئيس الاجتماع باسم الله الرحمن الرحيم وشكر الأعضاء على قبولهم هذه المهمة الجليلة وتقديرهم لاحتياج البلاد لمثل هذا المعهد وأورى أنه بعد التفكير يرى أن يكون افتتاح المعهد فى اكتوبر المقبل (سنة ١٩٣٦) إن أمكن على أن يبدأ بالسنة التحضيرية والسنة الأولى فقط وأن يقبل فى هاتين السنتين تلاميذ من سن ١١ ، ١٢ ، ١٣ أما باقى

الفصول فتنشأ تدريجياً فى السنة الدراسية فى السنين الدراسية التالية فتتم فصول المعهد فى مدى خمس سنوات والمفهوم إلى الآن أن عدد تلاميذ المعهد لا يتجاوز ٢٤٠ تلميذاً باعتبار ٤٠ تلميذاً فى كل سنة مقسمين إلى فصلين يحتوى كل منهما على ٢٠ تلميذا وكذلك يكون فى السنة التحضيرية ٤٠ تلميذا مقسمين أيضاً إلى فصلين وعليه يكون العدد المطلوب فى أول سنة دراسية ٨٠ تلميذا ، منهم ٤٠ فى التحضيرى ، ٤٠ فى السنة الأولى ، فأذا كنتم حضراتكم موافقين على هذا فنبدأ فى النظر فى الناحية العملية للتنفيذ .

وهنا تباحث حضرات الأعضاء فيما يضمن استقلال هذا المعهد من الوجهة المالية وكذا من الوجهتين العلمية والأدارية لأنه لما كان هـذا المعهد من نوع جديد صرف مؤسسا على طريقة خاصة الغرض منها تقويم الشخصية والأعداد لتحمل المسئولية وتشجيع الابتكار وبث روح التعاون والتعود على

حسن التفكير و بعد النظر فى المستقبل هذا إلى مايلزم من المعارف والمعلومات و إتقان اللغات وجب أن يكون مجلس إدارته مستقلا فى تصرفاته تحقيقاً لمعنى التشريع الذى يقوم عليه هذا المعهد .

ثم حصلت المناقشة فى المسائل الواجب بحثها من الآن .

أولا — مسألة اختيار المكان المؤقت والدائم باعتبار المؤقت من اكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى سبتمبر سنة ١٩٣٧ والدائم يبدأ من اكتوبر سنة ١٩٣٧ .

و بما أنه توجد أرض فضاء قبلى ماركونى فى الصحراء بالمعادى شرقى سكة حديد المواصلة مساحتها واسعة فقد كلف كل من سعادتى وزير المالية (المرحوم احمد عبدالوهاب باشا) وحافظ عفيفى باشا بمعاينة هذه الأرض ومعرفة ما إذا كانت شركة المعادى مستعدة لأعطاء ٤٠ فدانا منها وهذه هى المساحة التى تكاد تكفى لمبانى إدارة المعهد والفصول وكذلك للمساكن

التى تعد لنوم التلاميذ والمدرسين المقيمين ومبانى السينما والراديو والمستشفى والمسجد والملاعب والمطابخ ومحلات الخدم وغير ذلك .

وقد قال سعادة عبدالوهاب باشا (رحمه الله) أن الشركة محتاجة إلى شراء ما يقرب من ٢٠٠ فدان من أراضى الحكومة فى تلك الناحية وأنه يأمل أن يتفق مع الشركة على إعطاء المعهد ما يلزمه من أراضى الشركة — ومن الأسباب التى دعت إلى تفضيل المعادى توفر المياه والنور بها .

ثانيا — مسألة التكاليف للسنة الدراسية الأولى لاستئجار محل موقت أو إعدام ما يلزم لهذه السنة من بناء على هذه الأرض لو تم الاتفاق عليها وكذلك تكاليف البناء كله .

ثالثا — مسألة اختيار مدير المعهد والأساتذة المقيمين بالمدرسة والآخرين للسنة الأولى على أن يكون المدير متزوجا يتراوح سنه بين ٣٠ ، ٤٠ وأن يكون لديه من المؤهلات

ما يوصله إلى درجة ناظر مدرسة علمية فى بلاده وأن يكون عدد الأساتذة متصلا كل الاتصال بالمواد التى تعلم بها اللغة

رابعا — مسألة معلمى الألعاب الرياضية والخدم والممرضات والرئيسة .

خامسا — مسألة مناهج التعليم والكتب والتحقق من تمصيرها ورعاية الروح الوطنية فيها ومسألة لغة التعليم فى المواد المختلفة .

سادسا — المفروشات رصنعها فى مصر على أن تختار رسوماتها الملائمة .

سابعا — بحث صورة إعانة الحكومة فى السنين العشر الأولى وأعانة الحكومة الخاصة بالمكافآت للمتفوقين الذين يقبلون بمصاريف مخفضة أو بدون مصاريف وتقرر تشكيل لجنة من . . . .

لبحث المسائل السالفة الذكر وتقديم تقرير عنها فى . . . . .

. . . .

. . . .

هذا و إنى أتقدم لمن يقول أن فى تقليد أيتون عيوب لا تحتملها ديموقراطيتنا الناشئة أو يدعى أن إنشــاء المعهد عامل على إعادة عهد الطبقات بين أبناء الآمة أن ينعم النظر فيما جاء فى صلب قانون المعهد بخصوص قبول نسبة كبيرة (٢٥ ٪) من غير الأغنياء ضمن تلامذة المعهد (مع توفر باقى الشروط الخلقية والعقلية) و يذكر «قول دوق ولنجتون» «أن جميع المعارك التى انتصرت فيها انجلترا أتى النصر فيها من ساحة الـكريكيت فى أيتون» .

ولا أرى مانعا أن أصرح هنا بكثير من العيوب الحالية فى التعليم الثانوى من حيث ازدحام الفصول واختلاف مستوى التلاميذ فى الفصل الواحد مع سوء تأثير (البيت) على ماتقوم به المدرسة مما يضيع أكثر جهودها هباء لأنه بالنسبة لهذه

العيوب الشائعة وغيرها وضع المشرع لقانون المعهد نصب عينيه أن يتلافى بتاتا كل ما من شأنه أن يمس — ولو عن بعد — الهدف المقصود والغرض الأسمى و بذلك عمل على أن يتوفر للمعهد كافة الأسباب التى تقيم حياة جديدة وخلقا جديدا وتخرج نماذج صالحة من الرجولة الصحيحة كما وأن وجود هذا المعهد يقوم نبراسا للمدرسة الثانوية تنسج على منواله لأن التطور كفيل برفعها إلى مستواه ولو بعد حين .

والحقيقة أن طبيعة الشعب الانجليزى وحريته وقويم مبادئه تدعو المصلح الجرىء ولا ريب إلى اقتبـاس هذه المقومات التى تكيف شخصية الفرد بسبيل الخلق القوى الناضج الذى يجعل منه نواة صالحة لمعنى التعاون الانسانى .

معجزات

مَن مِن المصريين لا يتأمل هذه الجهود ولا يحلو له أن يطيل فيها التأمل ! !

مَن مِن المصريين وغير المصريين لا يسأل نفسه وهو يتأمل هذه المشروعات وهذه الخطط و يطيل فيها تأمله — عن مدى تفكير هذا (الرجل) وهل هذه الجهود يقوم بها رجل واحد ؟ ! ثم يسائل نفسه مرة أخرى :

من من المصريين وغير المصريين يستطيع أ ن يذ كر رجلا واحدا من الأحياء أو الأموات جمع بين طيات نفسه قدر ما جمع (على ماهر) من أساليب المرونة والأرادة التى كيف بها مقتضيات الأحوال وساس بها الأمور كما شاء المصريون وكما شاء صالح المصريين وأمل المصريين !

. . . بل أى حكومة وأى برلمان يستطيعان — مهما طال الزمن وصلحت الآراء — أن يحققا للبلاد تنظيما وإصلاحا وخيرا ولو بقدر يسير مما أبدت الحكومة الماهرية لصالح الفرد وصالح الجماعة ؟ !

. . . بل أى إنسان فى الشرق أو الغرب بلغت مهمته مبلغ ما قام به (دولة) على ماهر باشا من أشق الأعباء فى أخطر الأوضاع وأحرج المآزق : ! ! !

من التفانى غاية التفانى فى سبيل المحافظة على حقوق العرش وحفظ مهابته ومقامه عند تمثيله وعند قيام حكومته بسلطات الملك ! — إلى عمل المعجزات لتأسيس الوحدة الوطنية وصيانتها بالسهر عليها والتغلب على كل ما طرأ من من عقبات وماعكر الجو من اختلافات كانت تطرأ من حين لآخر بين أعضاء الجبهةوبين الانجليز — والعمل لعدم تمكين

الانجليز من فرض إرادتهم بخصوص «بعض» من تكونت منهم أعضاء الهيئة المصرية للمفاوضات ومن إعادة دستور البلاد وتعبيد السبيل للمفاوضات التى حققت للبلاد حريتها بسبيل معاهدة الشرف والاستقلال .

يقين

و «دولته» بين هذا وذاك لم يرض أن يضيع على أمته فرصة الاستمتاع بمشروعات رأى فيها ورأينا فيها الخير كل الخير والترقى غاية الترقى وفيها صالح الوطن وصالح بنى الوطن .

وقبل هذا وذاك برئت حكومته من كل نعرة حزبية أو طائفية .

. . . لقد آمن المصريون بأن عهد الوزارة الماهرية عهد لم يعرف له التاريخ مثيلا .

والمصريون لا زالوا يقرئون رسالة العهد الماهرى أو العهد الذهبى . !!

و يقولون أن مدة الثلاثة شهور التى حكمها « على ماهر » تساوى ثلاثة أعوام .

هذه أقوال العامة من المصريين. !!

وأعتقد أنهم لو دققوا فى الحســاب وقاسوا الأعمــال
بالنسبة للزمن والعمر كما يجب لقالوا أن مدة الحكم الماهرى
قد أضافت إلى عمر كل من ترسم آثارها ثلاثين عاما ممتلئة
بالعلم والجهاد والابتكار .

بل أن مهام العهد الماهرى ومسئوليات العهد الماهرى
ومشروعات العهدالماهرى وابتكاراته لتمتد بجسامتها وخطورتها
إلى أكثر من هذا الزمن .

وسنظل نقرأ رسالة هــذا العهد ولن نطويها ولنعلم علم
اليقين أن « على ماهر » لم ينته من رسالة الحكم ولم
ينقض العهد الذهبى له .

بل سيظل كل مفكر يحدث نفسه بأن رجل الساعة فى
مصر هو على ماهر

(٥)

مايو سنة ١٩٣٦

فـــــترة

على أثر الانتخابات العـامة التى أجرتها الحكومة الماهرية — واجتماع مجلسى البرلمان وتولية مجلس الوصاية مهمته باسم صاحب الجلالة الملك فاروق الأول واستقالة الوزارة المـاهرية — تولت حكومة (الأغلبية !) الحـكم فى مايو سنة ٩٣٦ والناس متوقعون حينذاك تتابع الغيث الذى توالى بخيراته فى عهد الوزارة الانتقالية . . . .

والناس مأخوذون بوفاء ماهر باشا لمن مهد لهم الحـكم من بعده وهم مدهوشون حينئذ لأنهم لم يتعودوا صدق السامة ! ولم يعهدوا فى الحكام الزهد فى الحـكم ! !

تولت وزارة (الأغلبية) الحـكم ولمـا ينقطع إعجاب الناس جميعاً بما جاءت به حكومة ماهر باشا ولما تنته أحاديثهم

عن سيرة وزارته وعهده — أما حديثهم عن وفاته فكان أعظم وأشد حرارة . . .

. . .

تولت وزارة الأغلبيـة الحـكم والبلاد فى بدء عهد جديد — وتاريخ مصر فى مرحلة تفصل الماضى بمشاحناته وسيئاته وطغيانه الحزبى ولونه القـاتم القبيح عن المستقبل المنتظر بأضوائه وجمال ألوانه ومتبع بنيانه الوطنى الرائع . . .

. . . هكذا كانت نواة أحلام الوطنيين تظللها الجبهة المتحدة وتشحذها أمنية الجميع فى نجاح المفاوضات المصرية الانجليزية واستقرار الحياة الدستورية والآمال القومية . . .

هكذا كانت الآمال متجاوبة بين الجبهـة المتحدة وحكومة الأغلبية !

. . .وهكذا بارك الله الوحدة الوطنية وجهودها ونجحت المفاوضات ونجاحها لا ينسى المصريين سهر « على ماهر » عليها وجهاده فى سبيلها أكرم جهاد .

استقلال !

لم تنته آمال المصريين فى الجبهة وحكومة الأغلبية عند نجاح المفاوضات وعقد المعـاهدة المصرية الانجليزية بل تجسمت آمالهم أكبر وأكبر منذ هذه اللحظة وأيقنوا بأنهم إنما بدءوا ولم ينتهوا وأيقنوا بأن المعاهدة وسيلة لا غاية وأن الجبهة القوميـة التى لزمت للمفاوضات والتى أبرمت مصر المعاهدة بأيديها وجهود رجالها جميعاً لا بد لازمة لتنفيـذ المعاهدة وتحقيق ما فيها من نفع وخير . .

كانت هذه هى الحالة النفسية لجمهرة المصريين أو المثقفين منهم على الأقل وقد قام حينئذ كثيرون من دعاة الأصلاح بتحذيرهم من البطر والتمادى فى الفرح

ولـكن ما كادت تعود الهيئة المصرية من انجلترا بعد إبرام المعاهدة حتى بدأت حكومة (الأغلبية) منهاجاً جديداً

عجيباً فتنكرت أول شيء للجبهة وحتى لمن بنى الجبهة وسهر عليها ورعى المفاوضات ومن جعل نفسه خبزاً للجميع..!!!

• • •

وعقد مؤتمر مونتريه وأعضاء الجبهة غريبون عنه ! !

• • •

وكان المصريون ينتظرون بفروغ الصبر أن تنتهى الحكومة من المعاهدة لتبدأ (إصلاح البيت) واختيار أصلح الأسس وأقوى الدعامات لهذا الغرض وهم بذلك كانوا لا يشكون لحظة فى أن الحكومة لابد آخذة بما مهدت به الحكومة الماهرية من وسائل جمعت بين أقصر السبل وآمنها وأقومها .

عجب !

فكان المصريون بطبيعة الحال يترقبون بين حين وآخر تنفيذ مشروعات عرف قيمتها ومنافعها المثقفون وغير المثقفين وآمن بضرورتها المفكرون وغير المفكرين — بل لا أبالغ إذا قلت أن المصريين على بكرة أبيهم لم يساورهم أى شك فى أن الحكومة لابد عاملة على تنفيذ هذه المشروعات وقد ترقب ذلك كل عاقل . . . وكل جاهل أيضاً

. . . ولكن . . .

انتظر الناس وطال بهم الانتظار ؟ !

واشتاق المصريون وزاد شوقهم إلى مشروعات فيها خير البلاد . . وأخيراً حسب المصريون أن التأخير كان يرجع إلى شيء من البطء أو الاهمال أو المماطلة.. ثم ضحك المصريون لأن التأخير كان يرجع إلى تعنت مقصود لتعطيل أعمال الرجل

التى بدأها ومشروعاته التى وضعها . . لالشيء إلا أنهامنسوبة إلى « على ماهر » !! . و « على ماهر » هذا رجل خدم الوطن أجل الخدمات ولا يصح أن يذكر المصريون هذا بل ويجب على حد رأى القوم — يجب ألا يتمتع المصريون بمشروعات فيها خيرهم إذا كانت هذه المشروعات جاءت على يد « على ماهر » !!!

حكمة العهد الجديد !!

ولم لا ؟ ألم يقولوا من قبل أن الحماية على يد « زيد » من المصريين خير من الاستقلال على يد « عمرو » منهم ؟!

منطق عجيب ورؤوس عجيبة !!!

. . .

« على ماهر » يجب أن يجازى الجزاء الأوفى على أنه كان يسهر على مستقبل العرش والوطن وعزة العرش ومجد الوطن وعلى أنه أجرى الانتخابات أنزه ما تكون ! وعلى أنه

قصر أجلها وترك للقوم أمر تعيين خمس أعضاء الشيوخ !!

فأول جزاء له هو أن يحرم منـه مجلس الشيوخ وأن تستأصل مشروعاته !!!

... ثم يسمحون له بعضوية المجلس — ولـكن يجب أن توجه ضده الحملات ظلماً !!! — هكذا كان المنطق العجيب فى الرؤوس العجيبة !!!

! ! !

ظهرت الحقيقة سافرة وكشفت النفوس على طبيعتها وآمن المصريون بأن فى نفوس الحاملين على « على ماهر » مرض عجزت فيه حيل (المعالجين) ولم يجد القوم إلا وسيلة واحدة لتخفيف ألم المرض ألا وهى مهاجمة « على ماهر » وتشديد الحملة عليـــه ومحاربة مشروعاته وبذل الجهد حتى يكرهه المصريون وينساه المصريون ! ! !

فهل صحيح كرهه المصريون ؟ وهل نسيه المصريون ؟ !

* * *

وهنا تخطر لى فـكرة مسألة قناة السويس ورفض (دولة) ماهر باشا عضويتها وهى أمنية الـكثيرين ومنتهى غايات رجال المال .

وأنَّا إذا أردنا تعداد جهود « على ماهر » بالنسبة لقناة

السويس لوجدنا أن « عليا » هو الذى رفع نصيب الحكومة فى أرباح الشركة إلى مبلغ ٢٠٠٠٠٠ من الجنيهات .

وأن « عليا » هو الذى اتفق على جعل ربع موظفى الشركة من المصريين وأن يحلوا فى مختلف الوظائف بمعنى أن الأمر لا يقتصر على الوظائف الصغيرة ووجدنا أن « عليا » هو الذى اتفق مع مجلس إدارة الشركة على أن يكون للمصريين ٤ مراكز .

هذه الجهود وغيرها فيما يتعلق بشركة القنال يجب أن يذكرها المصريون و يذكروا ما كسبوا على يد الرجل .

* * *

...ولما خلا أحد الكراسى فى مجلس الادارة وافق مجلس الوصاية على ترشيح (دولة) على ماهر باشا له — وقد زار (دولته) البارون دى بنوا و بلغه وقتئذ موافقة مجلس الأوصياء على اختياره عضوا فى مجلس إدارة الشركة .

. . . فلم يكن رد دولته على البارون إلا أن قال :
و إن كان الاتفاق لا يشترط موافقة الحكومة المصرية على اختيار الشركة فانه يأبى التفكير فى القبول أو الرفض إلا بعد أن توافق الوزارة على ترشيحه موافقة صريحة ! !

. . . خلق ممتاز ! !

نبل لا مثيل له ! ! !

إباء كريم . . .

. . . دبرت الحملات على « على ماهر » فى مجلس الشيوخ . . . وأخيراً رفض (دولته) بإباء عضوية مجلس إدارة شركة القنال . . .

نصر

« واصبر وماصبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون » « قل كل يعمل على شاكلته » قرآن كريم

سبحانك يارب وما أحكم آياتك

سبحانك قدرت فى علمك الأزلى حقيقة الطبيعة البشرية وطغيان الانسان اذا كفر النعمة (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) !

مهد على ماهر لحكم قوم من المصريين أحسن تمهيد وأفواه وأقومه فقالوا يجب أن يجازى المحسن شر جزاء ! واذا لم يقصدوا ذلك فلماذا حورب على ماهر فى شخصه وأرادوا أن يحرموا مجلس الشيوخ منه ؟

ولماذ حورب على ماهر ودبرت الحملات ضده ؟

ولماذا حورب علي ماهر فى اختياره لمجلس ادارة شركة القنال ؟

ماذا يجد الناقد أوالمحقق من (سوابق) للرجل إلا كل فضل على القوم ! (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) !

إذاً العلة الوحيـــدة فى أن القوم حاربوا الرجل هو انه « على ماهر »

و « على ماهر » فى نظرهم وفى منطق رؤوسهم أو سخام قلوبهم شخص يجب أن يبغضه المصريون لأنه وضع أحدث الدعامات لأمتن بناء عصرى من الطراز الأول لمصرالحديثة!!

ولأنه ملأ قلوب المصريين لماجملته الأقدار واسطة العقد بين الشعب والعرش فيجب أن تفرغ منه قلوب المصريين وتؤثر عليه من مهّد « على ماهر » لحكمهم فأساءوا اليـه . . . !

(قتل الانسان ما أكفره) !

ولـكن « البطل » لم يقابل الهجوم بهجوم بل حتى لم تسمعه يدفع عن نفسه .

.. ظل صامتاً صامتا وكأنه كان ساخرا مستهزئا بالـكذب والـكذابين !

وارتدت السهام الطائشة من تحت قدمى الرجل إلى حناجر المعتدين ورؤوسهم فلم ينس المصريون من هو «على ماهر» بل أحبه المصريون وأحبوه أكثر من حبهم له فى حكمه وعند استقالته من حكمه .

وكلما ازداد حقد القوم على الرجل ازداد المصريون حبا له . وازداد المصريون أعجابا به وتمجيدا له .

وكلما مرت الأيام أخذ المصريون يذكرون الرجل .

ثم أخذ المصريون يذكرون الرجل فى كل المناسبات وأخذوا يقارنون بين عهده وعهد من بعده ثم يستغفرون الله على النسبة بين الحياة والعدم .

فالمصريون يحبون عهد على ماهر ويحبون أن يتحدثوا عنه وهم يجدون فى الحديث حلاوة وحرارة . . (ولكل امرىء ما نوى) .

(قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

عودة

« قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى .. فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين » قرآن كريم

. . .

.. هى عودة الليث إلى عرينه بعد أن غاب عنه نحو عامين — والعرين فارغ لم يجد من يملأه والأشبال تترقب العودة بعد أن طال الغياب ...

بينما الذئاب تخشى أن ترى الليث لأنها ترهبه ولو أنه لا يزأر ولا يصيح

وقد ظل منصب رئيس الديوان شاغراً منذ غادره على ماهر إلى رئاسة وزارته الانتقالية وان شئت وزارة العهد الذهبي الذى مرّ كلحظة فى حياة الوطن ولكنها لحظة ملأى بشتى الأشكال والصور والألوان

.. ولعمرى كم أتمنى لو أستطيع أن أصور بلون الذهب

الفرحة بعودة الأسد ، إلى حيث تترقبه الأشبال المشتاقة والتى زاد بها الشوق من جراء مارأت من القوم الذين خلفوا الرجل فى الحكم من صنوف العذاب والألم — فكأن الله الذى يرعى الكنانة دائما قد ألهم جلالة المليك أن يعجل بتنفيذ رغبته القديمة فى ملء المنصب السامى بمن هو أهله ومن لم يعرف المصريون أحدا يسد مكانه

وبذلك تدارك المليك حفظه الله الموقف الشاذ الذى كانت فيه البلاد مع الحكومة بسبب الدور الذى اندفع فيه أولو الأمر حينئذ بتيار الفوضى الضاربة والمحسوبية الصارخة والادارة الفاسدة والأوضاع التى حملت الشعب على شفا حفرة من النار فأنقذه منها صاحب العرش باستدعاء أولى الرجال بالمنصب السامى وأقدرهم على أعبائه وأخطاره

ولا ننسى هنا أن (دولته) كان يرقب الغبار الثائر عن بعد فى هدوء وجلال !

وقد ظل القوم يدقون أعناقهم من طول ما أجهدوا أنفسهم لمحاربة « الرجل » وهو لم يزد على أن كان يبسم !.. وأغلب ظنى أنه كان يسخر فى صمت وثبات لا يبالى الشتائم والاتهامات وافتراء المخادعين — وكأنى به بعد كل ذلك (يشفق) على القوم و يعطف عليهم

.. عاد دولته والمصريون يعلمون أنه الرجل الذى عصر نفسه وتفانى فى سبيل عرش مصر ومستقبل مصر! وهو يحاوله دائما أن يستنفد كل ما فى ذاته لأجل مصر وعرش مصر

نهاية

قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد
« وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم »
« وأوفوا بعهد الله اذا عهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم وكيلا ان الله يعلم ماتفعلون »
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

• • •

استكبروا هو وجنوده فى الارض بغير الحق
إذا جاءتهم الساعة بغتة قالو ياحسرتنا على مافرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون
وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل أنهم كانوا فى شك مريب
اتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور »

بلغ السيل الزبى

وقد جاء رجل الساعة

وما كاد يقوم فى مقامه حتى أخذ يحقق أرادة المليك ورغبة الشعب بتنفيذ منهاج قويم يرد الأمور إلى نصابها ويعيد الصفاء والوئام والسلام .

جرب صنوف العلاج لتلطيف شدة الموقف الذى أثار سخط النفوس على الحكومة القائمة حينئذ وقد تنسى الأمة ما بذل الرجل من جهود كريمة خالدة لا ينساها المحقق — بذلها الرجل وهو يعرض مختلف الحلول تلافياً لانزلاق الحكومة حيث الهزيمة والهلاك — وقد ظلت مفاوضاته مع رئيس الحكومة حينئذ ٥٠ يوماً عرض (دولته) فيها مبدأ التحكيم فى المسائل المختلف عليها بين القصر والحكومة — فلم يرعو القوم وتشبثوا بموقفهم — (وضعوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً . .) .

لم يترك صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا سبيلا لانقاذ الموقف مع الحرص على كرامة الحكومة إلا سلكه ولكن

ما أصبرهم على النار (انك لاتهدى من أحببت)

فيالعثار جدهم ! . .

لم يكن بد من ضربة حاسمة : اقالة فى خطاب تاريخى سجل أضعف إداة للحكم عرفها تاريخ مصر وضرب مثلا لا ينسى للحكام بما أشار الى الحالة المهلهلة التى لم يفلح فيها الرتق ولم ترض بالحق

أى وربى (قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب)

وقد جاء فى حديث لرفعة ماهر باشا مع أحد مراسلى الجرائد الانجليزية (المانشستر جارديان) :

ان جلالة الملك اضطر إلى اتخاذ عمل شديد ولكنه كان عملا دستوريا — وقد صار من المستحيل التعاون مع وزارة كانت مع قمصانها الزرق تعتدى على جميع الحريات السياسية فى البلاد وتهاجم حقوق الملك الدستورية

وهكذا تجلت قوة « على ماهر » فى القضاء على الطغاة

والطغيان وفى ذات الوقت تجلت رحمة نفسه على الطغاة بما حاول من استصلاحهم ومصابرتهم وتمهيد السبيل لاستقامتهم فلما لم تجد حيلة معهم لم يجد مفرا من انقاذ الوطن وتقديم صالحه وصالح العرش فوق كل اعتبار

ومنذ عاد رفعة ماهر باشا الى عرينه وهوموضع ثقة المليك وموضع ثقة الأمة وهو المبدع لأجمل سياسة بين العرش والشعب .

واذا كان من موقف هو أعظم المواقف فى هذه الفترة الأخيرة التى اختير فيها على ماهر باشا لرئاسة الديوان للمرة الثانية فهو موقف جلالة المليك من رفعته يوم رغب رفعته فى الاستقالة لظروف تخصه — فهو لعمرى موقف من واجبنا ألا ننساه كلما درسنا شخصية الرجل الأول فقد أرسل اليه جلالة الملك كتابه السامى الكريم التالى

عزيزى على ماهر باشا

اطلعنا على كتابكم المرفوع الينا فى ٨ مايو الحاضر باستقالتكم من رياسة ديواننا لظروف خاصة حدت بكم الى ذلك

وأنا مع تقديرنا لهذه الظروف الخاصة يسرنا وأنتم مثل أعلى فى الاخلاص والوفاء لوطنكم ومليككم أن تستمروا فى رياسة ديواننا بما عرفناه عنكم من صدق العزيمة وكمال الاقتدار فتضيفوا بتفانيكم فى اداء الواجب صحيفة رفيعة القدر الى تاريخ جهودكم المحمودة الأثر فى خدمة وطننا وبيتنا الملكى مما يحفظ لكم على الدوام أجمل الشكر وأبلغ التقدير من لدنا .

وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع بذلك

الامضاء (فاروق)

صدر بسراى عابدين فى ٩ ربيع أول سنة ١٣٥٧ (٩ مايو سنة ١٩٣٨)

وبعد فليس من سبيل المبالغة أن أقول أنه جدير بالابناء والأحفاد أن يحفظوا هـذه الرسالة لا لأنها قطعة من الأدب الرفيع فحسب بل لأنها الرسـالة الذهبية من صاحب التاج الى أول من وضع خطة التعاون بين العرش والامة فكان أول من نال ثقة الملك وتقدير الوطن بحق

فبراير سنة ١٩٣٩

فلســــطين

بيان

يعز على أن أنتهى من الكتيب ولا أسجل شيئا عن جهاد رجلنا من أجل فلسطين والعرب !

يعز على أن تحرم هذه الصفحات من أثر من آثار من تكلم باسم جميع الوفود العربية فى مؤتمر فلسطين ؟!

فلم أر بداً من أن أسجل هنا بيان محامى العرب بحق وعماد المندوبين فى مؤتمر لندن : — وهو البيان الذى ألقاه رفعته بلهجة أثارت أعجاب الجميع من عرب و يهود و بريطانيين

. . .

قال رفعته :

باسم الحكومات العربية نشكر للحكومة البريطانية دعوتها لنا إلى الاشتراك فى هذا المؤتمر الذى جئنا إليه بعزيمة

صادقة لنعمل على إيجاد حل لهذه المشكلة الصعبة ولاعادة السلام إلى ذلك البلد المنكوب .

ان لمساعينا الرامية إلى غرض انسانى عظيم أهمية كبرى من الوجهة الدولية . لقد جئنا وكلنا أمل فى نجاح هذا المؤتمر الذى يستقر بنجاحه السلم والتعاون فى الشرق الأدنى والأوسط ويتعزز مركز الامبراطورية البريطانية التى تربطها بالعالم العربى روابط التحالف والصداقة وروابط أخرى أيضاً تلك الروابط التى تستدعى تشاورا بين الدول المختلفة ، وقد هيأ هذا المؤتمر كذلك سابقة حسنة لتبادل الرأى ولحل مايحدث من المشاكل . اننا نعتقد أن هذا المؤتمر قد وصل إلى دور يسمح بامكان الاتفاق فجميع الذين فيه يطلبون سلماً عاجلا فى فسلطين وهذا السلم يجب أن يؤسس على القاعدة الدولية العامة ، أى على قاعدة المساواة فى الحقوق بين جميع سكان الدولة ، وأن تضاف إلى ذلك ضمانات لحقوق الأقليات

والمصالح الجوهرية للامبراطورية البريطانية تعطى عن رضا.
مع ملاحظة الحاجة إلى فترة انتقال لازمة للخروج من عهد
الوصاية إلى عهد الاستقلال التام الذى نرمى اليه .
وان رجل الدولة الذى يسمو بنفسه عن الجدل والنظريات
الخاطئة والآراء المغرضة والخواطر السريعة لن يجد فى اعتقادنا
حلا آخر يؤدى إلى السلم . وهذا الحل نفسه يتفق والمرونة
التقليدية للسياسة البريطانية .

واننا ننصح بأن يكون الحل لمسأله فلسطين حلا سريعاً
واضحاً حاسما .

ويدفعنا إلى هذه النصيحة علمنا بأن العالم يتطور سريعا
وأن الحوادث تتوالى وتتلاحق فالحل الوقتى الذى لا يحسم
النزاع يستبقى عناصر الاضطراب والقلق ولا يوجد الطمأنينة
الضرورية فى هذا الوقت التاريخى .

بقى أن نقول كلمة لبعض الحكومات الصديقة قريبة كانت أم بعيدة ، ولبعض الزعماء السياسيين فى هذه المملكه الذين رغم رغبتهم فى أقامة السلام فى فلسطين ليسوا على استعداد لقبول مثل هذا الحل ، اننا نعتقد أن هؤلاء وهؤلاء لا يعلمون كل حقائق هذه القضية وأن يكن من المنتظر أن يعدلوا أفكارهم مع الزمن إذا سمح الزمن بذلك فمن المستحسن والحالة هذه بذل المساعى القوية لتمكين الحكومات الصديقة وقادة الرأى من الاحاطة بحقائق القضية العربية التى لا نظن أنها طرحت أمامهم بجلاء وانصاف . و بذلك نستطيع إيجاد الطمأنينة فى نفوسهم ووضع حد لتردد اليهود الذين سيجدون أن مصلحتهم الحقيقية فى الحل العملى الذى نقترحه ، لا فى اتباع نظريات المتعصبين من بعض زعمائهم السياسيين

الرأى العام الاسلامى

ولأجل أن تدركوا علة أصرارنا على حل حاسم سريع نضع بين أيديكم صورة من الرأى العام فى البلاد الاسلامية كلها .

لاشك أن ما يحدث فى فلسطين التى يرتبط بهـا تاريخ المسلمين الدينى والزمنى والتى فيها مقدسات عظيمة لهم قد أثار شعورا عميقا فى العالم الاسلامى كله . فالعامة تعتقد أن بريطانيـا العظمى تسـاعد اليهود على امتلاك فلسطين ومقدسات المسلمين فيها . وهذه العقيدة العامة التى نعلم نحن خطأها سائدة فيهم . أماالخاصة فلاسباب أخرى ومن وجهة نظرية ثانية يعتقدون كذلك أن فلسطين فى خطر .

علماء الازهر

لقد احتج علماء الأزهر مرارا على الحالة الراهنة فى

فلسطين وبذلوا المساعى الكثيرة لحمل الحكومة المصرية على العمل لدفع الخطر عنها وهؤلاء العلماء يتمتعون بقسط وافر من النفوذ والاحترام فى العالم الاسلامى . وقد قام فى كل الاقطار الاسلامية قادة الرأى الدينى والمعاهد الدينية بمثل ماقام به الأزهر وأعربت كل الطوائف وجميع المذاهب عن مخاوفها .

لقد عبرت الحكومات الاسلامية جميعها بمختلف الوسائل عما يخالج صدور رعاياها من خوف وقلق واتخذت الدول العربية وسائل شتى لتظهر ذلك أمام العالم عامة والحكومة البريطانية خاصة .

ملك مصر وحكومته

أما الحكومة المصرية فقد طلبت مرتين أمام جامعة الأمم أن يؤتى بحل للمشكلة الفلسطينية على أساس يرضي

عرب فلسطين وقد تقدم الطلب نفسه مرتين مختلفتين بواسطة وزيرى خارجية يمثلان جميع الآراء المصرية على اختلاف ألوانها . زد على ذلك أن الحكومة المصرية رحبت بالمؤتمر الاسلامى الذى اجتمع فى القاهرة فى الخريف الماضى للدفاع عن حقوق العرب فى فلسطين وقد تفضل صاحب الجلالة الملك فاروق وهيئة وزرائه فرحبا بأعضاء المؤتمر و بذلك ساعد جلالته بحكمته السامية على الاعتدال وتهدئة الهياج الذى أثارته حوادث فلسطين .

الدول العربية

ثم أن الدول العربية الأخرى أى المملكة العربية السعودية ومملكة العراق و إمارة شرقى الأردن قد انتهزت كل فرصة سنحت للاعراب عن مخاوفها من نتائج حوادث فلسطين وتأثيرها فى مستقبل تلك البلاد . وقد اتصلت هذه

الحكومات بشتى الوسائل بالحكومة البريطانية معربة عن هذه المخاوف ثم أنها تدخلت فعلا فى سنة ١٩٣٦ لأنهاء الاضراب واخماد الثورة

وقد طالبت الحكومة العراقية فى مواقف متعددة بضرورة وضع حد لهذه المشكلة كما أن الرسالة التى تفضل اخيرا صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود بارسالها ألى الرئيس روزفلت لتعبر بصورة جلية صريحة وافية عن الشعور الذى يسود العالم العربى الآن

وقد اجتمعت الدول الموقعة على ميثاق سعد باد فى ٥ سبتمبر ١٩٣٨ فى چنيفه ، وهى تركيا وايران وأفغانستان والعراق وأمضت بالاجماع اقتراحا أيدت فيه مطالب العراق لعرب فلسطين ومطالبة الحكومة البريطانية بحل رضى يرضى العرب ولقد أمضى وزراء هذه الدول الأربع اقتراحا رسميا ليبلغ إلى الحكومة البريطانية

سوريا وشمال افريقيا

ولاشك فى أن بريطانيا العظمى محور أعظم امبراطورية تهتم بترضية هـذا الشعور وأنا ننتهز هذه الفرصة للتذكير بأن عرب سوريا وشمالى أفريقيا رغم عدم تمثيلهم هنـا يشاطروننا الرأى تماما ولا يمكن لفرنسا التى تعول على سواعد عرب شمالى افريقية واخلاصهم ان تتجاهل هذا الشعور .

اليهودية العالمية

فاذا جاز لنـا أن نفرض أن صداقة المسلمين والعرب أساسية للديمقراطيات العظيمة فان اليهودية العالمية التى تعتمد لضمان سلامتها وحريتها على قوة تلك الديمقراطيات لابد لها أن ترى المصلحة الحقيقية اليهودية هى فى الاعتراف بحق السيادة لعرب فلسطين وفى ايجاد سلم دائم فى تلك البلاد

الولايات المتحدة الامريكية

أن كل هذا تعرفه الحكومة البريطانية ولكننا نشك في أنه معروف كله في الولايات المتحدة . وقد بذلت الحكومات العربية مساعى حديثة لانارة حكومة الولايات المتحدة ونحن نرجو أن تجد الحكومة البريطانية سبيلا لبذل جهود قوية لتنويرها بشأن قضيه العرب .

ولا حاجة بنا إلى التاكيد مرة أخرى أن السلم في فلسطين هو لمصلحة الديموقراطيات الثلاث العرب واليهود وأهل فلسطين ، وهذا السلم يجب أن يؤسس على قواعد العدل .

ما هو الحل؟

فكيف الوصول اليه ؟

في سنة ١٩١٨ كان عدد اليهود في فلسطين ٧٪ من

السكان ، وكان المسلمون والمسيحيون يؤلفون عنصرا واحدا من لغة واحدة وثقافة واحدة وكان اليهود ألى حد كبير فى فلسطين يشاركون أهل البلاد حياتهم ولغتهم وعاداتهم .

وهذه الحالة تعطينا صورة لدول عربية ولكن عهد بلفور الذى عقبته موجات الاضطهاد لليهود فى شرق أوربا أخل بهذا التوازن على هذه الصورة . فما هو السبيل لأصلاح ما طرأ على هذا المنظر الكامل من خلل ؟

لقد أدخل على البلاد رغم أرادة أهلها نحو ٤٠٠ الف من اليهود يختلفون فى ثقافتهم وعنصرهم وعقائدهم السياسية والاجتماعية ومع ذلك احتفظ السكان الأهليون بجميع المزايا والمؤهلات اللازمة للتضافر على تأليف دول مستقلة .

فأكرم حل توجيه السياسة البعيدة النظر الواسعة الصدر هو الذى يكفل لجميع اليهود حقوقا متساوية مع أهل البلاد وهذا الحل يجب أن يكون عادلا شريفا حتى من وجهة النظر

اليهودية فهو فضلا عن أنه يعطى اليهود حقوقا متساوية مع العرب يكفل لهم هذه الحقوق كما يكفل لبريطانيا مصالحها الجوهرية وهو حل قد أخذ فى نظر الأعتبار جميع الحقوق الراهنة . والخطوة الثانية هى أقامة سياسة أنشائية تسمح بالتعاون بين جميع السكان .

ونحن حين نلح على الحكومة البريطانية بوجوب أقامة دول فلسطينية مستقلة فى فلسطين مستعدون للالحاح كذلك على عرب فلسطين بوجوب قبول كل الضمانات والمصالح المعقولة التى تطلب منهم .

ايمـــان

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
فى سـبيل الله والذين آووا ونصروا
أولئك هم المؤمنون حقا »

. . . وبعد جهاد شاق ونشاط عجيب وسهر متواصل نحو شهرين من الزمن فى بلاد الانجليز من أجل قضية فلسطين رجع صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا . . .

ولعمرى أن بيانه وما تضمنه من أن الحق والمنطق والمصلحة تقر مطالب الفلسطينيين التى لا يمكن ايجاد حل عادل إلا على أساسها وأن تصريح بلفور ليس حجة لصدوره قبل احتلال فلسطين وعلى غير علم من أهلها فجاء مخالفا للعهود المقطوعة للعرب وأنه لا يجوز البحث فى استمرار الهجرة لأنها تضر مصالح العرب والانجليز واليهود المقيمين فى الشرق الاسلامى وأن الاتفاق لا يمكن أن يتم الا على

أساس الاعتراف بهذه الحقائق — لعمرى أنه بيان لم يدل إلا على دراسة عميقة استدعت من الرجل سهرا عجيبا ونشاطا نادرا .

ترى ما الذى حفزه غير إيمان أعجب من الجهاد وأحلى منه ؟

ولهذا لا يعجب المترسم لخطى الرجل أن يستدعى كل هذا منه أيمان الوفود العربية جمعاء بمقدرته الفذة ونظره الثاقب حتى جعلته مرجعا دائما للاستشارة وحجة أقوى حجة لقضية الشرق العربى فصار وجوده ضرورة حيوية لاغنى عنها للمصريين والمسلمين عامة والساسة جميعا وغير هؤلاء وهؤلاء .

استقبال

ثم عاد محامى العرب و بطل الشرق العربى
فهرعت الأمة الكريمة لاستقبال رفعته . . .

«وقد اصطف عند رصيف (المطار) قره قول شرف من رجال بوليس ميناء الاسكندرية

ونظرا لتأخر الطائرة كاليدونيان المقلة لرفعته أعد لرفعته قطار خاص أقله فى الساعة الثامنة والثلث الى القاهرة

ووصل القطار فى الساعة ١١ والدقيقة ١٥ إلى محطة القاهرة فاستقبل رفعة على ماهر باشا بالهتاف — ولما نزل رفعته من القطار لم يستطع أن يشق طريقه بين الجموع التى ازدحمت من حوله . . .

واضطر رفعته إلى أن يبرح المحطة من أحد أبوابها الجانبية . . . »

شرف

عاد الرفيع مقامه بعد ما شرف الشرق العربى أمام الغرب وكان صاحب الجلالة الملك قد أوفد مندوبا من لدنه لاستقبال رفعته وإبلاغه رغبة جلالته السامية فى أن يقصد رفعته إلى سراى عابدين عقب وصوله لمقابلة جلالته فقصد رفعته إلى سراى عابدين

« وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين صعد رفعته إلى مكتب حضرة صاحب الجلالة الملك حيث تشرف بمقابلة جلالته وعرض على الأسماع الملكية خلاصة ما قام به مؤتمر فلسطين من أبحاث ومناقشات »

وقد ظل رفعته فى الحضرة الملكية ما يزيد على الساعة

. . . .

حسبه فى هذا أعظم شرف يضاف إلى شرف أفاضه عليه موقفه وقد أبى إلا أن يرفع رأس العرب وأبى أن يلين فى سبيل الذود عن حقهم فكشف عن معالم الطريق ووسيلة الآمال بالا تكون غير العزم والصلابة فى الحق فى غير تجنٍّ وفى غير تعنت ولكن بقوة السياسى المرن وإرادة المؤمن الحكيم

سودان

آخر لحظة : بينما الكتاب على وشك أن يصدر علمت أمرا من أخطر ما أدى «على ماهر» وقفت به على ناحية من شئون مصر فالتزمت ضرورة التسجيل

ولا عجب أن يجد أمر بل العجب الا نرى جديدا من على ماهر . . .

فليس لتفانى الرجل فى سبيل مصر وفى سبيل صاحب العرش من حد أو حصر وهذا مايتعب الكاتب الذى يحاول حصر نواحى نشاط على ماهر

فبينما رفيع مقامه يجاهد فى سبيل فلسطين و « يرصد » الحالة الدولية و يقيس الأمور العامة لموقف الوطن و بينما نرى كل دولة مشغولة تدبر وتعدل وتهيىء ذاتها فى هذه الآونة الحرجة للحياة للانسانية بالنسبة للأوضاع الأوروبية والظروف العالمية إذا بنا أزاء « مفاجآت ماهرية » لم تخطر ببال كائن من كان

تصدر عن بديهة أعتبر أنى مقصر إذا لم أصفها بأنها أحضر بديهة سمع عنها التاريخ

ولم لا ؟ . . .

من كان ينتظر من « على ماهر » أن يعمل فكره فى هذه الآونة بخصوص مسألة السودان

من كان يخطر بباله بخصوص « على ماهر » أنه يدبر اليوم شأنا من أول شئون مصر العسكرية لينتهز الفرصة ويخدم الوحدة المصرية السودانية ؟ !

. . . . مرة أخرى يتجلى مذهبه الواقعى ...!

فصول أخرى من سياسته العملية ...!

أغلب ظنى أن الغد القريب لابد يتمخض بأذن الله عن مفاجأة تضاف إلى عجائب البراعة والقدرة الانسانية على الأطلاق

ولمن شاء إضافة مثل آخر من الطريقــة الماهرية فى

التنفيذ والانجاز أن يعلم أن رفعة ماهر باشا وضع لبناته بسبيل السودان من غير أن يشعر المصريون بيده وهى تعمل وتعمل بقوة عجيبة :

فرفيع مقامه هو الذى التمس إلى جلالة الملك تعيين نجل الأمير السودانى الذى قتل فى معركة توشكى ياوراً لجلالته فكان أول ياور سودانى لصاحب العرش » وهو صاحب فكرة سفر وكيل المعارف المساعد إلى السودان (التى تمخضت عن عزم الحكومة المصرية على إنشاء مدرسة ثانوية بالخرطوم !) — كما أنه أشار على وزارة الدفاع (كما يقول المطلعون على الحقائق) بتعيين بعض الضباط السودانيين فى قلم المخابرات العسكرية وفى مصلحة خفر السواحل . . . .

لله أنت أيها المثل الأعلى فى خدمة الوطن والعرش

لله على ماهر

شرق

من ذا الذى لا يستطيع أن يقر بأن شخصية على ماهر تقيم بآثارها وما تفيض به على أجوائها والآخذين عنها والمترسمين لخطاها — بأنها تقيم بهذا كله شخصية الجيل فى فى مصر بما ينجم عن تفاعل آثارها ومبادئها مع ذوات الجماعات والأفراد من تعديل وتركيز وتوجيه بل أنها شخصية أصبحت عدة للشرق كله ولازمة للشرق كله قوة أصلح قوة تتبلور حول آثارها وآثار المقتدين بها من القادة عناصر الشرق وآماله إلى ما شاء الله


(٦)

تحليل

— ١ —

طاقـــــة

على ضوء الحقائق التى تضمنتها أبواب هذا الكتاب كفصول من الحياة العامة لرفعة على ماهر باشا أوكأهم الأدوار فى تاريخ مصر الحديثة كان فيها «على ماهر» رجل الدولة القائم بالدور (الأول) الأساسى طيلة نيف وعشرين عاما يستطيع الناقد المترسم لخطى الرجل أن يكوّن لشخصيته المعنوية صورة صحيحة النسب سليمة الأوضاع بارزة المعـالم مستعينا بالطريقة السيكولوجية المعروفة بطريقة الملاحظة الخارجية :—

فأذا تأملنا طابع أعماله وجدنا أن (رفعته) يعطى للأصول المنطقية والقواعد العلمية كل اعتبار و بذلك يأمن على أعماله من الزوابع مهما قوى دفعها — فمثلا فى وزارة المعارف

وفى وزارة العدل أو فى أى ميدان حلّ فيه كان يقيم مشروعاته على أسس يثق (رفعته) بأنها قوية متينة جديرة بأن تحمل أثقال المسئوليات وما تأتى الأيام — بمعنى أنه لا يؤمن بطريقة الصدف والسياسة الارتجالية — وهذا هو السر فى أنه لم يستطع وزير أتى بعد رفعته فى أى وزارة أن يحدث فى مشروعات رفعته نسخا أو تعديلا أو شيئا من هذا القبيل فى صميم المشروعات الماهرية إلا أن يكون بطريق التعنت والمغالطة وقلّما حدث شىء من هذا القبيل .

فحتى هذه الساعة لازالت تقوم النظم والبرامج والخطط بسبيل ما كان (معاليه) قد أراد من قبل وحتى ما لم ينفذ منها لازال يشغل الرؤوس بجدته وطابعه الخاص الذى يدل على الاستقلال والذاتيه المنفردة والوحدة العقلية المتأججة المتناسقة .

وتنطبع أعمال رفعة ماهر باشا جميعها بروح القوة وروح السرعة ، وروح الابتكار ما وسعت الكلمات هذه المعانى

فما من منصب حل « على ماهر » به إلا وقد حظى المنصب بشيء من وحي عبقرية على ماهر وغزير مادته ، يتميز فيه عامل القوة وعامل السرعة وعامل الجدة .

وأغلب الظن أن هذا دليل أقوى دليل على تقدم رفعته على أهل عصره وامتلاكه طاقة عجيب شأنها فريد كنهها .

فالرجل دائرة معارف فى فنون الاصلاح والخلق والابتكار والسياسة العليا والتشريع .

وانى أعتقد أن رفعته لو كان فى أى مهنة من المهن لكان الأول بين رجالها فلو كان مهندسا لكان أبرع المهندسين وأقدرهم على التصميم والانشاء والصنعة ولو كان محاربا لكان أمهر المحاربين دراية ودربة على فنون الميدان والسلاح وأنى لأحسب قياسا على ذلك أن لرفعته اليوم رأيه بخصوص أجراءات الدفاع ولو بطريق غير مباشر — وليس ببعيد أن يتحقق هذا القياس .

وليس معنى هذا أنى لا أعترف بأن النابغة فى ناحية من العلوم أو الفنون قد لا ينجح أو يفلح فى ناحية أخرى بل إنى مع إقرارى بهذه الحقيقة العلمية أصمم على القول بأن النبوغ الفذ يشذ عن مألوف الأوضاع فى كثير من الأحيان وأصمم على أن مثل « على ماهر » نابغة أو عبقرى فذ لا يضارع ولا يجارى .

بل أقول صراحة أن شخصية «على ماهر» مثل من طراز بلغت معنويتها درجة الشذوذ فى العبقرية بقدر لا يطاق !!

ألم نره فنياً فى التربية والتعليم أعظم ما يكون الفنى فيهما ؟ !

ألم نعرفه فنياً فى التشريع والاقتصاد أعظم ما يكون الفنى فى أيهما ؟ !

أو ليس حجة فى القانون والقانون الدولى والتقاليد

الديبلوماتيكية بجذافيرها ودقائقها أعظم ما يكون العالم العلَم فيها جميعا ؟ !

أو لم نلمس فنونه فى الإدارة والحكم أقوى وأعجب وأعظم ما تكون فنون الحكم والحكام

. . . لا لا

أنى مع اعترافى بحقيقة قول (رفعته) واحترامى كل الاحترام لهذا القول « أن المعارف الفنية فى كل نواحى الحياة أصبحت مستحيلة على الفرد » .

فأنى أستطيع أن أقول لرفعته « لقد خرجت يا سيدى عن هذه القاعدة فكنت فنياً فى كل ناحية رأيناك فيها وكنت فنياً شهدت لك بذلك العقول التى تؤمن بالحق ولا تحيد عن الأنصاف وشهدت بذلك الفنون بما أنت أهله وقد لا نرى ياسيدى أن طابع نبوغك غريب بين أصناف النبوغ ولكننا نرى فلا مفر من الاعتراف ولا مفر من الأنصاف » !

— ٢ —

مذهب

هذه « العلامات » البارزة فى أعمال الرجل تدلنا أوضح دلالة على « خلق » رفعته وعناصر شخصيته.

وأقصد بالخلق أوسع معانى الكلمة من التصرفات الشخصية و (الملكات) التى تتجلى فى سلوك الفرد .

فأول ما نستنبط من ذلك حبه للعمل وأتقانه ما يعمل بمعنى أنه يجد لذة فى العمل وأتقانه وهذه الحقيقة هى السر فى أن مشروعات على ماهر تصدر عن عقل يحب البحث ويحب أن يقلب الأمور على كل وجه حتى يمحص جميع الأجزاء والدقائق فلا يظهر أى عيب أو شبه عيب عند التنفيذ بل يأتى المشروع صحيحاً صالحا وأداة قوية وضرورة لاغنى عنها .

ولهذا العنصر أثر فعال فى شخصية الرجل أذ نرى (رفعته)

ليس بالخيالى الذى يسترسل مع الأوهام والأمانى وأنما يحكم المدقق فى حقيقة الرجل بأن مقاءه الرفيع مثال الرجل العملى الذى يقيم خطته على سياسة الأمر الواقع بما يدفع نشاطه فى طريق أيجابى ويوجه شطر الأصلاح والأنتاج والأنشاء .

ويحضرنى فى هـذا الصدد مثلان ليسا كباقى الأمثلة بل أنهما من صميم السياسية القوية والوطنية العملية : فلا ننسى ما يتعلق بموقف دولته من (دار المندوب) بخصوص ما كان ينبغى عليهـا من عرض طلباتها على رئيس الديوان قبل عرضها على جلالة الملك (وقد حدث هذا فى عهد الملك الراحل) وبالفعل قد نزل الأنجليز أمام الأمر الواقع عند رأى (دولته) — وكذا موقف (دولته) بخصوص دستور سنة ١٩٢٣ واستصداره المرسوم الملكى بأعادته وقد ارتبكت من قبله وزارة نسيم باشا فى هذا السبيل

وكم من مثل فيما ذكرت آنفا من مواقف على ماهر يدل عن بينة على سياسة على ماهر العملية ومذهبه الواقعى .

٣
ثقـــــة

قد يبدو لأول وهلة أن من التناقض أن يكون الرجل الذى جمع طابعه بين حب العمل وأتقان العمل وسرعة تنفيذ العمل ليس بالرجل الذى يستخدم طرق الدعاية والأعلان وسيلة له . ولـكن لا يجوز أن يكون هذا تناقضا أو أن نعدّه أمرا غريبا بل هو النتيجة المناسبة لمن يجعل منهبه (الطريقة الواقعية) حيث أن من لوازم هذا الطابع ألا (يفرغ) صاحبه من مشاغله ولو فرغ فلايقبل التنزل لمستوى الآخرين بالأعلان والدعاية !

و بسبيل هذا المذهب يتصف الرجل بالأصلاح السريع والابتكار البديع .

ولولا هـذا المذهب المنتج أقوى إنتاج ما قامت أقوى

عدة للرجل المنتج الذى من قبيل ماهر باشا — وهى عدة الثقة بنفسه وشدة الأيمان الوثيق بالله .

هذا إلى قوة شمم وجميل نزاهة مع أنصاف للخصم وحب للتعاون ونكران للذات وصدق فى الحكم — فلولا سياسة الأمر الواقع وثقته بنفسه وربه وصدق حكمه ويقين حدسه ما كان استقال من الوفد واستقل فى كفاحه مدة طويلة ولولاها ما رفض أن يرضخ لرجل من المصريين فرض نفسه على المصريين واستأثر باستبداده ولولاها ما استطاع على ماهر حمل « الأمانة » الوطنية فى أحرج الظروف

ولولا ثقة الرجل بنفسه وربه ما كان الركن الشديد الذى الذى يستحق ثقة المليك وثقة الأمة وثقة جميع الشعوب العربية .

ولولاها ما انتصر على طول الخط أر نتصار وأبدعه

ولولا هذه الشروط ما عرف بثاقب نظره نهاية الذين

ناوئوه بالأمس قبل أن تزول دولتهم ببضع عشر سنين ! !

لولا سياسة الأمر الواقع وثقة على ماهر بنفسه و إيمانه بربه ما تم شيء مما ذكر وتم على أكمل حال بأصدق عزم أولى العزم

ولولا قوة شممه وجميل نزاهته ما رفض المناصب التى سعت اليه ولولاها ما ثار على الطغيان والطغاة جميعا فى جميع الظروف والأوقات

٤

جرأة

وإذا ذكرنا ماأسلفت مما شملته طريقة (على ماهر) الفعالة التى بنى بها منهبه الذى أصفه بسياسة الأمر الواقع عرفنا لماذا كان من أول وأقوى صفاته الشخصية شجاعته الأدبية أو كما أفضل أن أسميها شجاعته العقلية فهى فى ذاته قوة لم تتخل عنه يوما ولم يتخل عنها فى واحد من مواقفه : تذكرنا بها مواقفه فى فجر الثورة مع « سعد زغلول » ومواقفه فى وزارة الحقانية ومواقفه مع الانجليز ومواقفه مع المغفور له الملك فؤاد وغيرها وغيرها

ويذكرنى هذا العنصر الفعال فى حياة الرجل وتوجيهه للحياة العامة بقول الأول :

أن الشجاعة فى القلوب كثيرة

ووجدت شجعان العقول قليلا

وهذه الصفة القوية هى الدافع الأول لجرأة على ماهر فى تنفيذ مشروعاته و بعث الحياة الجديدة أينما حل وأقباله على تحمل المسئولية والوقوف عند رأيه مع أى شخص كان وفى أى مآزق الخطر لاقتناعه بالحق واعتداده بنفسه :

— ٥ —

.. أن الوقت وقت تضحية
والتضحية فى سبيل البلاد تهون
مهما كانت غالية . . .

الملك فؤاد

ومن العجيب حقاً أن الرجل الذى يحترم رأيه و يعتد بنفسه ما دامت على حق يكون هو أول من ينكر ذاته .

وليس القارىء بحاجة الى أمثلة أخرى بعد ما ذكر فى فصول الكتاب من أروع المواقف التى تجلى فيها نكران على ماهر ذاته وحبه للتضحية مهما غلا ثمنها :

هو الذى ضحى بوظيفته فى سبيل الثورة والحرية .

هو الذى استقال من الوفد مع أنه لم يضن بعد ذلك على سعد زغلول بالمعاونة والمشورة .

هو الذى نسى شخصه وراح يزور رجال الأحزاب جميعاً فى دورهم وأشار على المغفور له الملك فؤاد باستدعائهم ليكون

الجبهة القومية نواة للوحدة الوطنية — وأن فى حديث الملك فؤاد رحمه الله إلى رجال الجبهة مايبين عن سياسة «على ماهر» وهو رئيس الديوان ومن قبل ومن بعد — قال جلالته :

« ليس بيننا كبير وصغير فلنجلس جميعاً بغير مراعاة للرسميات وها أنا فيما بينكم كواحد منكم وإنى لأشعر فى هذه اللحظة ونحن جميعاً مصريون ندين بالإخلاص والمحبة لبلادنا أننا كأفراد عائلة واحدة نشعر جميعاً بشعور واحد . . . .

. . . .

أنتم قد اجتمعتم فى هذه الجبهة فجئتم إليها من هيئات مختلفة واشتركتم فى عمل واحد على الرغم مما قد يكون بينكم من فوارق فى الرأى والاتجاه . فأملى أن تثابروا على التضحية بكل الاعتبارات الشخصية أو الحزبية فى سبيل وطننا المفدى فاذا شعر أحدكم بغضاضة فليعتصم بالصبر وليصابر زميله وعلى كل حال فلا يسأم إذا قامت فى وجهه صعوبة فأن المقام مقام

التجلد نظراً للغاية الكبرى التى تبتغونها جميعاً وأبتغيها معكم وهى رفعة الوطن — وأنى هنا أكلمكم لا كملك فقط ولكن ولكن كوالد يهمه أمر أولاده ويهمه دائما أن يراهم على أحسن حال — وأنى كملك لا أعرف أحزابا ولا أعرف جماعات لا أعرف إلا مصريين ولا أعرف إلا مصر وكل المصريين متساوون فى نظرى .

أن أمامكم صعابا جمة فلا بد من الاستعانة عليها بالأناة والحكمة والحزم مع نسيان كل اعتبار غير اعتبار الغاية الكبرى التى نسعى اليها . . . . »

. ولعمرى ما أشبه الليلة بالبارحة !

وما أحوجنا لذكر وترديد هذه الكلمات الغوالى .

٧
تعاون

ولأن مقامه الرفيع أول من يضرب المثل الأعلى فى نكران الذات و إيثار المصلحة القومية على كل شىء لم يكن حز بيا فى يوم من الأيام بل كان مصريا فى جميع الأيام ووطنيا صادق الحب لبلاده فى كل الأيام وهل من شىء أدل على هذا كالنداء الذى كان دستور الجبهة الوطنية .

قد يتحدث بعض النـــاس ممن يحكمون على الأمور بظواهرها ولا يتلمسون أعماق ما يمر من الحوادث فيقول أحدهم كان على ماهر وكيلا لحزب الاتحاد ؟ !

ولعلى أتدخل فيما يعنى الحقيقة فأقول له :

كان على ماهر فى حزب الاتحاد ليجعل من الجماعة أداة للوطن ولم يكن الرجل كغيره يجعل الوطن للجماعة ....

وقد ذكرنا أنه اختلف مع سعد زغلول حرصا على القومية المصرية والوحدة المصرية .

ولهذا فمن الواجب أن نقول أنه ما من موقف لرفعته إلا وكان هو الداعى الأول للتعاون والتواد والتآخى الوطنى فى سبيل الوطن :

لولا حبه للتعاون الوطنى ما راح يجاهد ويكافح أكثر من مرة حتى وهو رئيس الديوان ليقرب بين وجهات نظر بعض الأحزاب ووجهة نظر السراى فى بعض ما كان يختلف عليه وهو فى ذلك ينسى ما وجه ضده من حملات وما افترى عليه من أكاذيب .

لولا حبه للتعاون الوطنى ما التزم خطة عدم المبالاة بترهات من لم يتورعوا عن مهاجمته والأساءة إليه وهو أقدر ما يكون عليهم وهو أقوى ما يكون . . . ولكنه لم يتزعزع ولم يهاجم بل كان حليما عفوا أهدأ ما يكون .

وأغلب ظنى أنه يفرض حسن الظن بهم ويفرض أن القوم لا بد أن يعودوا إلى الحق ولا بد أن يؤنبهم الضمير الانسانى ويفرض أن الحق لا بد يعلو ويهزم نزوات الشياطين فيثوب المغالط إلى رشده .

نعم . . . على ماهر أول من يحرص على الوحدة القومية فى الحكم وخارج الحكم . لأنه يعتقد أن فى ذلك تركيز القوى وتدعيم الأسس التى تقوم عليها مسئوليات الأفراد وأغراض الجماعة الوطنية وغاية الأمة .

خطب (دولته) فى المديرين والمحافظين وهو رئيس للوزارة فقال فيما قال :

« . . . ثقوا فى أن الأيدى كلما تكاتفت كلما أدت إلى الاصلاح والنفع وقد مضى الزمن الذى كان البعض يعتقد أن الفرد وحده يستطيع الاضطلاع فى هذا الاصلاح ونحن الآن فى عصر يجب فيه التعاون بين الجميع واتحاد القوى للوصول

إلى الغاية المنشودة . ولهذا يهمنى أن تحرصوا على اكتساب ثقة مرءوسيكم بتوخيكم تحرى الأنصاف معهم وتشجيع المجتهدين وذوى الكفايات منهم وجعلهم يشعرون بالمسئولية الملقاة على كواهلهم . ومتى أنس العامل تقديرا لعملة قويت نفسه وازدادت همته وتفانيه فى العمل . وعندئذ لا تقف جهوده عند حد الخدمة العامة بل سيكون قدوة حسنة لغيره من الذين يتسرب إلى نفوسهم بعض التردد والتوانى .

. . . .

فى أعناقكم مسئولية الحكم بالعدل والانصاف بين الجميع بدون التفات إلى أى اعتبار آخر سوى المصلحة العامة مهما تباينت النزعات والأهواء والسياسة ...»

(وهنا تحضر فى ذهنى وقائع شخصية تدل أبلغ دلالة على مبلغ ضبط الرجل لشعوره فلا يجرفه فى سبيله تيار الحزبيه ولا تيار المحسوبية ولا شىء من هذا القبيل ولكنى قد آليت على نفسى — منذ بدء الكتاب — عهدا ألا أذكر شيئا يمسنى أو يتعلق بأحد آخر من أقاربه) .

٨
ديموقراطية

مصدر مبادئ وخلق ماهر باشا هو ديموقراطيته وأستطيع أن أصرح هنا أن البعض ممن يحكمون على خلق رفعته عن بعد يتوهمون كثيرا ما ليس من الواقع فى شىء بل قد يبلغ بهم الشطط أن يصفوا الرجل بما هو نقيض التواضع والرحمة ومتين القومية وحسبى فى هذا الصدد أسجل بعض ما ينم عن نفس رفعته فقد قال فيما قال (دولته) للمديرين والمحافظين :

« . . . عاملوا جميع أفراد الشعب كما يعامل الأب أبناءه وناصروا الضعفاء وأغيثوا المظلومين ولتكن الحكمة رائدكم . . . » وقال « . . . لا أظننى فى حاجة إلى أن أطلب إلى حضراتكم المحافظة على لغتكم وعدم الخروج عن عادات قومكم وتقاليدهم والتمسك بقوميتكم وعدم التفريط فى أحكام دينكم وفرائض شريعتكم وكرامة مناصبكم ونزاهة عدالتكم . . »

٩

أناة

وأخيرا . . . . .

نرى أبرز صفات رفعة ماهر باشا القومية التى يجب أن تتوفر فيمن تحتاج إليهم منصة الحكم للحكم هى اتساع صدره للنقد وحبه للشورى واهتمامه بالرأى العام وتربيته وتثقيفه وفى ذلك قال (دولته) مخاطبا رجال الصحافة فى ٢٤ مارس سنة ٩٣٦

« . . . ويحلو لى أن تتاح فرصة الاجتماع بحضراتكم لنتصل ببعضنا بعضا لتبادل الرأى فى مختلف شئوننا الاجتماعية .

. . ويسرنى دائما أن أفضى إليكم بكل شيء من حقكم أن تقفوا عليه لتمكينكم من الاضطلاع بالمسئوليات الكبرى التى تحملونها لأداء ما فى أعناقكم من رسالات إصلاحية .

أرحب بكم ناقدين مستفسرين وأرحب بكم سائلين باحثين وأرحب بكم من كرام الكاتبين المصلحين . . .

ليس من شك أيها السادة أن الهيئة الحاكمة تستفيد دواما من جهودكم الموفقة وناضج بحوثكم ومتتابع نشاطكم الشيء الكثير لنتمشى وما لهذا الجيل من تعدد مطالب ومختلف أساليب فى ضروب التجديد المنشود لتسير البلاد فى شتى مرافقها الحيوية وآمالها القومية جنبا إلى جنب مع وثبات القرن العشرين فى غير عنف ولكن فى غير جمود بل فى جرأة المؤمن واتئاد الحكيم وشجاعة رجل المبدأ والعقيدة ويقين المصرى الوطنى المستنير وسداد المصلح العملى البصير .

الواقع . . . إنكم على حق حينما ينادى مناديكم : أن الوطن فى حاجة ماسة إلى شتى نواحى الاصلاح وأظننى على حق أيضا اذا ما أهبت بكم — وأنتم العدة الصالحة فى نجاح

كل إصلاح — إلى التضامن والتآزر ورفع مستوى هذه الصناعة الشريفة إلى مكانتها السابقة الخليقة بجليل خدماتها والمنفعة ونبيل غاياتها ـ وأظننى على حق إذا ما لجأت إلى عناصركم الكريمة الرشيدة المؤمنة معنا جميعا بما لصناعتكم الشريفة من حرمة وكرامة . . . وبما يجب على المتشرف بالانتساب اليها من استمساك بأخلاق الرجولة والجرأة والصدق وحمل الأمانة ونبالة القصد وتحرى الصواب وإقامة المعوج واليقظة الساهرة فى استقصاء ما ينفع الوطن والعمل الطيب والأثر الطيب والقول الطيب . . .

وأرجو أن تتأكدوا من استعداد الحكومة دائما لتلبية المطالب التى يكون من وراء الأخذ بها اطراد تقدم الصحافة فى مصر لتكون صحافتنا مدرسة ثقافية تعليمية لجميع أفراد الشعب .

لتحققوا غاياتكم النبيلة فى تكوين رأى عام مصرى

منصف متزن مستنير . وحين توجيهه فيما فيه الخير لمصر ولجميع سكان مصر من أجانب و وطنيين بل وللأ نسانية جميعا . . .

وقد جاء فى أقوال (دولته) للمديرين فى هذا الصدد ما يلى : —

« وليست ثقة مرؤوسيكم التى أطلبها إليكم فقط بل هناك أيضا ثقة الشعب التى يجب أن تعملوا على كسبها كاملة وافية — ومتى احترمتم الحريات وأحسنتم المعاملة وأقمتم العدل والمساواة بين الجميع وأبعدتم فكرة الميول الحزبية والتحيز وجدتم عندئذ أن كل فرد يعاونكم فى مهمتكم ولقيتم الشعب يجعل من نفسه حارسا على القانون وملتزما الحكمة فى عمله ... »

خاتمة

والآن . . .

بعد ما ذكرت وحاولت من تحصيل لعناصر شخصية « على ماهر » (خاليا من الألقاب) كما أحب أن يكون اسمه العلَم فوق كل لقب

الآن هل أستطيع أن أقول « أنها شخصية جمعت خير عناصر الخلق الأنسانى الارستقراطى وأسمى مبادىء الديمقراطية لأقوى كيان لروح القومية » ؟ !

وهل أستطيع أن أقول « أن شخصية على ماهر أروع شخصية عرفها تاريخ مصر الحديثة »

ثم هل أستطيع أن أؤكد « بأنه سيتحدث التاريخ عن على ماهر بين القادة على اعتبار أنه رجل أعظم من بطل »

ثم . . .

ثم هل يليق بي أن أطوى الكتاب ولا ألفت نظر الشباب والرجال إلى القول بأن «الرجل» مثل الرجل الذى أراد النجاح ورسم خطته وصمم فنجح ونجح لغير حد — وأنه لا يصح أن يقال عن مثله أن الحظ خدمه أو أن الظروف ساعدته ويجب أن يقال أن من حظ مصر وأجيال مصر أن يكون على ماهر من أبناء مصر ليخدم مصر وملك مصر. وأن من حظ شباب اليوم والأجيال المتعاقبة قراءة على ماهر ودراسته وأن تتابع بروح وثاب خطوات على ماهر الثابتة المنطلقة إلى الأمام

بيت

يحسن الآن وقد تحدثت عن (جملة) الحيـاة العامة للرجل أن أذكر بعض ما أسمع وأحب أن أسمعه من والدتى عن الطريقة التى كان المغفور له خالها محمد ماهر باشا يأخذ بها بنيه فى التربية والتـكوين فهى الطريقة التى أستطيع أن أصفها باسم discipline وقد تشبعت بها روح الرجل العظيم بالنسـبة لما اكتسبه من التربية العسكرية بالأضافة إلى تشبعه بالروح الدينى القوى

أحفظ من حديثها لى عن المغفور له ماهر باشا أنه لم يترك فرصة إلا انتهزها لبث الفضائل العملية والخلقية فى نفوس أبنائه حتى أنه ما من مرة جلسوا إلى المائدة ألا وقدم لهم مثلا كريما لحسن التخلق وصالح التطبع .

وأنه رحمه الله كان يعود أبناءه على طريقة « تنظيم

وأدارة البيت» كما كان رحمه الله يكوّن ويربط أبناءه معاً بطريقة أستطيع أن أصفها بما يناظرها فى المدرسة الحديثة من « نظام العرفاء » حتى يرضى الصغير أطاعة الكبير واحترامه حتى يستطيع الكبير تحمل المسئولية والاعتماد على النفس . وأتقان عمل مايكلف به — هذا كله فى رعاية والدة أصلح الأمهات

هذه بأيجاز هى أسس المبادىء التى كان يقوم عليها البيت الماهرى والتهذيب الماهرى والتى ظلت تعاليمها بين الأبناء الماهريين إلى اليوم ... فكانوا يجتمعون عند المغفور لها والدتهم «أم الماهرين» كل أسبوع حتى يوم وفاتها فيجلس على ماهر وأحمد ماهر وباقى الأخوة معا وكأنهم بذلك كانوا يلقون على الناس أجمل درس فى أن اختلاف الآراء لاصلة له بصلة الدم .

والحق أن هذه ظاهرة لها قيمتها ولها خطرها أزاء ما كان يظنه الكثيرون خطأ وقياساً على ما كانوا يشاهدون من طغيان السياسة المريضة حينئذ فى كثير من البيوت المصرية

أعطيك بهذا شكلا مجملا « للبيت الماهرى » لترى كيف تعمل البيئة على تكوين الفرد وكيف يكون لرعاية الأب وأشراف الأم أكبر الأثر على توجيه الأبناء ؟

والواقع أنها صورة تتعاق بها أحلام رجال التربية وتجاهد الأمم و يجاهد المصلحون لتحقيقها اليوم وبعد اليوم ! !

وأنى أعتقد أن شخصية رجلنا الذى سوف تتحدث عنه الأجيال عندما تتمثل صور الأبطال ما كانت تكون كذلك لو لم يكن على ماهر الطفل الذى نشأ فى البيت الماهرى — (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ر به) . . .

ولو لم يكن على ماهر الفتى الذكى النجيب وعلى ماهر الشاب اللبق النشيط المطلع الباحث وعلى ماهر الرياضى الذى يلمع اسمه فى لوحات كرة القدم بالمدرسة الخديوية والذى كان يحلو لى لما كنت فتى طالبا بها أن أطيل فيه النظر كما يحلو لى اليوم الحديث عنه فى شبابى و بعد الشباب أن سمح

العمر — وعلى ماهر الرحالة قبل أن تنشأ فى مصر كشافة أو جوالة .... !

أقول لولم يكن كل أولئك الذين أوجدتهم البيئة الماهرية بالبيت الماهرى فى شخص على ماهر ما كان على ماهر الذى نتحدث عنه و يحلو الحديث عنه وما كان على ماهر الزعيم الفكرى والسياسى لولا «البيت الماهرى» و «البيئة الماهرية» و «التربية الماهرية» — أن ما تحتويه شخصية على ماهر اليوم من عناصر أتاحت له أن يؤدى أبلغ رسالة لمصر الحديثة بل أخلد وأجمل رسالة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب فى القرن العشرين يرجع فضله الى « البيت »

يقول بعض العارفين أنه لما توفى المغفور له محمد ماهر باشا . . . . تساءل الناس عما ترك من ثروة —

ولكن المحنكين العالمين ببواطن الحقائق قالوا .... لقد ترك ماهر باشا أعظم ثروة فى أبنائه ..... مصطفى وعلى ماهر وأحمد ماهر ومحمود وأمين

إلى رفيع مقام على ماهر باشا

سيدى :

تحدثت بالحق عنك وأحب أن أطيل الحديث بالحق عنك ثم أحب أن أختتم حديثى بكلمة سريعه إلى مقامك الرفيع أتحرى فيها صراحتى من أعماق نفسى :

سيدى :

بدأتَ مؤمنا وسرتَ ثابتا جبـار الخطى حديدى الارادة . وفى أخطر لحظات مصر اتجهت القلوب إلى الله فـكنت أنت موضع ثقة مصر والأمين على عرش مصر

ثم جاء « الفاروق » وشرفك بثقته وحبه كما شرفك والده العظيم بثقته وتقديره من قبل .

فـكنت أول من جمع بين ثقة الملك وثقة الوطن

بل كنت أول من جمع إلى الثقتين ثقة الشرق العربى جميعه بل وثقة الغربيين وتقدير الجميع :

... ألم تنتخب لتشمل برعايتك نادى كتاب اليمين فى لندن ؟ !

ألم تستول على أعجابهم بك وتقديرهم لعقليتك التى بذّت عقول الكثيرين من خاصتهم ؟ !

لله أنت ! أنت مدرسة قائمة بذاتك ! —

فى شخصيتك تركزت خلاصة زعامات الفكر والسياسة

• • •

والآن . . تقوم الدنيا وتقعد ويحسب الناس حساب الحرب التى كادت تبرق شعلتها فتتجه القلوب إلى الله ويخطر شخصك بالأذهان ويطل عهدك على الزمان . .

ياصاحب المقام الرفيع :

رعاك الله فى مسئولياتك الجسام وفيما تحمل من آمال الأمة وثقة العرش وأثقال التاريخ . . . . وخطير ما يطلب من جلدك العجيب وأرادتك الجبارة اليوم وغدا وبعد غد

لحظة ...

إلى الشباب :

أقدم فى هذا الكتاب مثال الرجل الذى شق طريقه مؤمنا وسار على صراط مستقيم مؤمنا ولا يزال يواصل السير ثابت الاقدام مؤمنا وهو موضع ثقة المليك وثقة الأمة وثقة العرب والشرق جميعه .

فاذكروا أيها الشباب دائما قول الرجل :

« أن وجوه الاصلاح عديدة . وحاجات البلاد عديدة . وواجبات كل منا عديدة . وأنى لأعتقد أنه إذا رسم كل قادر منا خطته فى حدود تلك الدائرة المقدسة — دائرة أداء الواجب — جاعلين الهدف دائما أعلاء كلمة مصر : وكلمة الحق عن مصر. لأجل مصر وفى سبيل مصر .

أعتقد أننا إذا ما فعلنا ذلك فسنصل بفضل تعاوننا —

إلى تحقيق شيء غير قليل من خير مطرد لهذا الوطن »

أيها المصريون :

اسمعوا أقوال «الرجل» الذى تطلبونه والدنيا على شفا جرف هار كاد ينهار بها

« فى وسع كل منكم أن يكون نعم الرجل المستنير والوطنى الخادم وخادم الأمة الأمين »

« أن تحقيق آمال البلاد منوط بكل فرد منا وكلما أخلصتم الخدمة العامة كلما استكملتم صرح استقلال البلاد وأعليتم شأن الوطن المحبوب » —

أخيرا أحسب أن فى على ماهر المثل الذى ضربه الكاتب الفرنسى شاتو بريان حيث يقول :

« أن صاحب الارادة القوية يستطيع الانتصار على كل شيء حتى الزمن »

ها أنذا قد تحدثت عن سيرة حلوة رائعة وأغلب ظنى

أنى قد أعاود الحديث عن حلقة أخرى فى تاريخ على ماهر
إن شاء الله

وما أحر اشتياقنا إلى أن نتحدث مرة أخرى وألف مرة

ومن يدرى ؟ . . .

فقد أتحدث عن جبهة أخرى ومشروعات أخرى وعهد
ذهبى يطل من جديد

ومن أولى منا بمواصلة الحديث عن على ماهر وقد أصبح
فى عداد رجال عالميين بجانب هاليفكس و بلدوين وغيرهما
من رجال الغرب وقادته

(ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض)

حسبى هذا عن رجل الساعة ورجل الطوارىء

وحسبى هذا وفاء بالعهد أن العهد كان مسئولا

وحسبى هذا أن أؤدى بعض رسالتى وأنا أذكر الآية المجيدة
« و إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى و بعهد الله أوفوا
ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون » .

(إن أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله)

١٧ ابريل سنة ١٩٣٩

ذيل

في فلسطين

بعد ما أعد الكتاب للظهور علمت أن محامي العروبة وفخر الاسلام وحجة الشرق علي ماهر باشا قد تلقى من صاحب السماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا كتابا أرسل رفيع مقامه الرد عليه إلى سماحة المفتي . . .

فرأيت إتماما للفائدة تسجيل الكتابين الكريمين التاليين : —

من سماحه المفتى إلى رفيع مقام ماهر باشا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فان اللجنة العربية العليا قد تلقت مساعيكم الكريمة فى سبيل حل القضية الفلسطينية حلا عادلا يحقق آمال الأمة العربيـة فى فلسطين ، بماتستحقه من التقدير العظيم والشكر الجزيل ، فقد تجشمتم مشاق السفر وتحملتم أعباء المفاوضات بما عهد فيكم من رحابة الصدر وثاقب الفكر وسعة الاطلاع ، ونفذتم الرغبة السامية التى أبداها حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ملك مصر المعظم بصادق غيرتكم وأصالة رأيكم ، ممـا كان له أعظم الأثر فى خدمة قضية فلسطين واعلان الحكومة البريطانية والعالم أجمع بماتلقاه تلك القضية من اهتمام جلالته وعطفه السامى واهتمام العالمين العربى والاسلامى .

واللجنة ترجو من مقامكم الرفيع أن تتفضلوا بالاعراب عن خالص شكرها وشكر عرب فلسطين جميعا لجلالة الملك

المعظم ورجائها أن تظل القضية الفلسطينية حائزة على عطف جلالته السامى ليتم للشعب العربى فى فلسطين تحقيق مطالبه العادلة التى لاسبيل لصيانة الكيان العربى والاسلامى فى تلك البلاد المقدسة بدون تحقيقها

وفى الختام نكرر لمقامكم الرفيع خالص الشكر ونسأل الله تعالى أن يبارك فيكم ويحفظكم فخرا لمصر والشرق .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

. . .

(٢) من رفيع المقام إلى سماحة المفتى

تلقيت شاكرا ممتنا رسالتكم الكريمة . وقد تفضلتم فاسبغتم على باسم اللجنة العربية العليا فوق مااستحقه من الثناء والتقدير .

وإذا كنت قد ساهمت بجهدى فى حل قضية فلسطين

فهو جهد قدمته بشعور الأخ نحو أخوانه الاقربين . وهذا الشعور القوى بل هذا الايمان المكين كفيل بان يديم صلتى بهـذه القضية العادلة حتى تحل باذن الله على أحسن حال

وأكون سعيدا لو تقبلتم أنتم وأعضاء اللجنة الأكرمون أبلغ عبارات المودة الصادقة والاخاء الوثيق . ومنى إلى فلسطين وابنائها أسعد الأمانى وأطيب التحيات .

والسلام عليكم ورحمة الله »

وقائع

أيام مشهودة فى تاريخ مصر

تاريخ	الوقائع
٢٩ نوفمبر ١٨٨٣	مولد صاحب المقام الرفيع
	يوم اختيار وزارة الحقانية الأستاذ على ماهر للقضاء.
	... على بك ماهر مفتش نيابة
	... على بك ماهر مدير أدارة المجالس الحسبية
	.. اضراب الموظفين وعلى رأس الحركة على ماهر
	ويوم فصل على بك ماهر (فى وزارة سعيد باشا). لما رفض أن ينتقل إلى أسيوط
	ويوم اختياره عضوا فى الوفد
سنة ١٩١٩	ويوم اعتقل على بك ماهر (فى قشلاق قصر النيل). عقب وضعه أول بيان باسم لجنة الوفد المركزية بالقاهرة لرفض الحماية والمناداة بالاستقلال
	... سافر على بك ماهر (إلى الاقصر) لما طلب إليه مغادرة القاهرة

التاريخ	الوقائع
يناير ١٩٢٠	... سافر على بك ماهر إلى باريس لمعاونة سعد زغلول والوفد عقب حضور لجنة ملنر إلى مصر واتصالها بالمغفور لهم رشدى باشا وثروت باشا وعدلى باشا
	... سافر على ماهر مع محمد محمود باشا وعبدالعزيز (بك) فهمى من باريس إلى لندن بناء على اختيار الوفد لهم أثناء اتصال عدلى باشا بلجنة ملنر
	... انتدب على بك ماهر والمرحوم عبد اللطيف بك المكباتى ومحمد محمود باشا وأحمد (بك) لطفى السيد للسفر إلى القاهرة لعرض مشروع ملنر على البلاد
	... انتخب على ماهر والمرحوم سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمى (بك) للسفر من باريس إلى لندن لاستئناف المحادثات والمفاوضات
	ويوم استقال على ماهر من الوفد لما طير إلى البلاد خبر انشقاق بعض الأعضاء عقب وقوع بعض الخلاف بينهم وبين سعد زغلول فى الاجراءات الخاصة بالمفاوضات

التاريخ	الوقائع
١٩٢١	... قابل على ماهر (السلطان) فؤاد وقد أراد (عظمته) استطلاع رأى على ماهر فى الظروف والمسائل القائمة حينئذ
	ويوم قبض على على ماهر بعد إصدار بيان بسبب اعتقال سعد زغلول —
	.. أفرج عن على ماهر عقب اصدار تصريح ٢٨ فبراير
	.. اختير على ماهر بلجنة الدستور فكان عضوها البارز وعنصرها الفعال
	.. مقابلته الملك فؤاد وابداء رأيه بخصوص ضرورة اطلاق الحرية فى نصوص الدستور وقد استدعاه جلالته مرارا فلم يتغير على ماهر عن رأيه الحر...
١٩٢٣	... تعيين على ماهر بك (ناظرا لمدرسة) الحقوق عين (فى وزارة زيور باشا) وكيلا للمعارف
١٩٢٥	.. فاز فى الانتخابات العامة (عن دائرة الوايلى)
١٩٢٥-١٩٢٦	على ماهر باشا وزير المعارف
يوليو ١٩٢٨	على ماهر باشا وزير المالية فى وزارة محمد محمود باشا
١٩٣٠-١٩٣٢	على ماهر باشا وزير الحقانية فى وزارة اسماعيل صدقى باشا

تاريخ	الوقائع
	ويوم استقال على ماهر باشا من الوزارة الصدقية
ول يوليو ١٩٣٥	... على ماهر باشا رئيس ديوان جلالة الملك (فؤاد الأول)
١٢ ديسمبر ١٩٣٥	يوم رسالة جلالة الملك فؤاد إلى شعبه
	يوم استدعاء جلالته لرجال الأحزاب وأصحاب الرأى جميعاً

في أيام معدودات . .

التاريخ	الوقائع
٣٠ يناير ١٩٣٦	تولى (دولة) على ماهر باشا الحكم وبدأ العهد الذهبي
٩ مارس	خطب دولته فى المديرين والمحافظين خطابه التاريخى
١٧ مارس	ألقى فى أعضاء لجنتى تعديل القوانين لوضع دستور جديد للتشريع
٧ ابريل	أصدر مرسوم بانشاء مجلس أعلى للاصلاح الاجتماعى (المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦)
١٠ أبريل	أصدرت مراسيم بقوانين (رقم ٣١ ، رقم ٣٢ ، رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦) الأول بشأن نظام هيئة القضاء والثانى بشأن تعديل الأمر العالى المشتمل على لائحة المحاكم الأهلية والثالث بخصوص معهد فاروق
٢٠ ابريل	أصدر مرسوم باعتماد نظام قانون للصحافة وجمعيتها

تاريخ	الوقائع
٢٨ ابريل	نعى المغفور له الملك فؤاد ونادى (دولة) على ماهر باشا بحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملكا على مصر
٤ مايو ١٩٣٦	صدر مرسوم باعلان رشد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فيما يختص بجميع التصرفات المدنية
٨ مايو	صدر مرسوم بمعاهدة الصداقة المعقودة بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية وأول خطاب من جلالة الملك فاروق إلى (دولة) ماهر باشا (وقد أعلن فيه جلالته تخفيض مخصصاته)
٩ مايو	يوم اجتماع المؤتمر البرلمانى لاعلان أسماء الأوصياء واستقالة الوزارة الماهرية الأولى

أبي الخالد

أيام أخر . .

التاريخ	الوقائع
نوفمبر ١٩٣٧	يوم عودة على ماهر باشا لرئاسة الديوان العالى
٩ مايو ١٩٣٨ ٩ ربيع أول ١٣٥٧	يوم أرسل صاحب الجلالة الخطاب التاريخى الرائع إلى صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رداً على رغبة رفعته فى الاستقالة
فبراير ١٩٣٩	سافر رفعته إلى لندن مندوباعن مصر فى مؤتمر فلسطين
٢٣ فبراير	ألقى رفعته بيانه الخالد فى المؤتمر .
٢٠ مارس	يوم عاد رفعته إلى الوطن
٥ ابريل ١٩٣٩	علم أمر استقالته من منصبه وأن صاحب الجلالة الملك المعظم لم يقبلها

التاريخ	الوقائع
	[وقد ظهر فى الصحف أن الاستقالة رفعت عقب الانتهاء من توديع العروسين الكريمين حضرتى صاحبى السمو الامبراطورى شاهبور محمد رضا ولى عهد ايران والاميرة فوزية — بعد أن عاد رفيع مقامه من الاسماعيلية وكان قد سافر إليها فى القطار الخاص مرافقا حضرة صاحبة الجلالة الملكة الوالدة (الملكة نازلى) وحضرتى الاميرين العروسين الكريمين وحضرات صاحبات السمو الملكى الاميرات ، وفداً من لدن صاحب الجلالة الملك المعظم] .

يونيو ١٩٢٩م

مطبعة الاعتماد بمصر